الباب الثانى

فنـون الأطفـال

- فنون الأطفال ومراحل نموها .
- مرحلة ماقبل التخطيط .
- مرحلة التخطيط .
- مرحلة تحضير المدرك الشكلى .
- مرحلة المدرك الشكلى .
- مرحلة محاولة التعبير الواقعى .
- مرحلة التعبير الواقعى .
- مرحلة المراهقة .

فنون الأطفال ومراحل نموّها

نبذة تاريخية عن فن الطفل

إن دراسة فنون الأطفال ليست بالدراسة القديمة العهد . إنما هى من الدراسات التى يرجع تاريخها إلى ما يقرب من الخمسين أو الستين عاماً . والسبب فى ذلك يرجع إلى ما كانت عليه النظرة بالنسبة للطفل كعامل لاقيمة له فى عملية التعليم . أما عندما تغيرت النظرة وأصبحت اتجاهات الطفل وميوله من العوامل التى لامفر من تجاهلها أو التغاضى عنها عند التعلم . يومئذ اتجهت أنظار العلماء إلى دراسة فنون الأطفال كمظهر من مظاهر حياتهم . واستمرت هذه الدراسة إلى يومنا هذا حتى أصبحت لدينا الآن أبحاث كثيرة . منها ما يتصل بالعلاقة بين ذكاء الطفل وقدرته على التعبير الفنى . وما يتصل بقدرة الطفل العضلية وأثرها فى التعبير . وما يتصل بخصائص الطفل واتجاهاته عند التعبير فى كل مرحلة من مراحل نموه . وما يتصل بغير هذا أو ذاك من نواح كثيرة تتصل بفنون الأطفال .

وعلى الرغم من كثرة هذه الأبحاث وتنوعها . إلا أنها أسفرت عن بعض الحقائق المتصلة بفنون الأطفال واتجاهاتهم عند التعبير . ويمكن تلخيصها فيما يلى :

١ — الرسم بالنسبة للطفل لغة . أى نوع من التعبير . أكثر من كونه وسيلة لخلق شىء جميل .

٢ — الطفل فى السنوات الأولى من حياته يرسم ما يعرفه لا ما يراه . وكلما تقدمت به السن اعتمد على بصره فى التعبير .

٣ — الطفل فى السنوات الأولى من حياته يبالغ ويحذف فى أجزاء رسومه تبعاً لانفعالاته المختلفة .

٤ — الطفل فى السنوات الأولى من حياته يعبر تعبيراً تسطيحياً . وكلما تقدمت به السن ازدادت قدرته على إدراك النسب بين الأشياء ووضعها بالنسبة لبعضها البعض .

٥ — الطفل فى السنوات الأولى من حياته يرسم ما يعرفه عن الأشياء حتى فى حالة وجودها أمامه . أو وجه نظره إليها .

٦ — دلت التجارب على أن هناك فروقاً ملحوظة بين رسوم الجنسين (الولد والبنت) [١] .

٧ — يميل الأطفال حتى سن العاشرة تقريباً إلى رسم الأشخاص أكثر من الموضوعات الأخرى .

٨ — دلت التجارب على أن هناك صلة كبيرة بين الاتجاهات المتبعة فى رسوم الأطفال جميعاً وتطور تعبيراتهم الفنية بصرف النظر عن بيئاتهم المختلفة .

٩ — يلاحظ أن هناك تشابهاً بين رسوم الأطفال وبين رسوم الرجل البدائى أو الشعوب التى عاشت قبل الميلاد [٢] .

١٠ — هناك صلة كبيرة بين تطور رسوم الأطفال وبين قدراتهم الفطرية العامة . أى الذكاء .

١١ — يلاحظ أن الأطفال ضعاف العقول يميلون إلى النقل من رسوم الآخرين أكثر مما يعتمدون على أنفسهم فى التعبير . والطفل الذى يظهر قدرة فائقة فى التعبير الفنى غالباً ما يظهر قدرة ملحوظة فى الذكاء .

١٢ — يلاحظ أن هناك تشابهاً بين رسوم الأطفال المتخلفين عقلياً وبين رسوم من يصغرونهم سناً من الأطفال العاديين من ناحية عدم إدراكهم للتفاصيل وعلاقة الأشياء بالنسبة لبعضها البعض .

معنى الحرية

الاعتراف بالطفل على أنه كائن حى له ميول واستعدادات . وأن أسلوبه فى التعبير الفنى له صفات وخصائص معينة . من أهم المبادئ التى يجب على مدرس التربية الفنية الأخذ بها . ولكن ليس معنى هذا أن يترك المدرس الحرية للطفل يفعل ما يشاء . إنما عليه أن يدرس خصائص فنون الأطفال فى مراحل نموها المختلفة ، ثم يتخير الطريقة أو الأسلوب الذى يتفق مع هذه الخصائص . بهذا يستطيع المدرس أن يوجه التلاميذ ويرشدهم نحو تعلم حقيقى مثمر .

تقسيم سلم النمو الفنى إلى مراحل

ولدراسة فنون الأطفال يجدر بنا أن نتتبع نموها من الولادة حتى سن السابعة عشرة . إذ تمكن بعض الباحثين [٣] فى هذا الميدان من تقسيم سلم النمو الفنى عند الأطفال إلى عدة مراحل نذكرها فيما يلى :

---

(١) تسهل التفرقة بين فنون الجنسين خاصة بعد سن العاشرة تقريباً . فنلاحظ أن الولد يميل نحو التعبير الانفعالى والبنت نحو التعبير الزخرفى — ويميل الولد إلى القلة فى التفاصيل وتميل البنت إلى الكثرة منها — ويميل الولد إلى التعبير عن الموضوعات التى تدور حول نشاط الرجولة والبنت عن الموضوعات التى تدور حول نشاط الأنوثة . كما نلاحظ أخيراً الميل من جانب الولد والبنت نحو تأكيد جنس كل منهما .

(٢) يقصد بهذه الفقرة أن هناك تشابهاً بين اتجاهات الأطفال واتجاهات بعض الكبار فى التعبير ، فنلاحظ مثلا صفة التسطيح والشغوف والمبالغة والحذف عند كل من الفنان المصرى القديم والهندى وبعض الفنانين الحديثين . ولزيادة الإيضاح يستطيع القارئ أن يرجع إلى كتاب الفن ووظيفته فى التعليم للدكتور حمدى خميس ص ٨٨ — ١٠٦ .

(٣) يسير هذا التقسيم لمراحل النمو الفنى حسبما جاء فى كتاب لونفيلد « الخلق والنمو العقلى » .

١ — مرحلة ما قبل التخطيط — وتبدأ من الولادة إلى سن الثانية .

٢ — مرحلة التخطيط — وتبدأ من سن الثانية إلى سن الرابعة .

٣ — مرحلة تحضير المدرك الشكلى — وتبدأ من سن الرابعة إلى سن السابعة .

٤ — مرحلة المدرك الشكلى — وتبدأ من سن السابعة إلى سن التاسعة .

٥ — مرحلة محاولة التعبير الواقعى — وتبدأ من سن التاسعة إلى سن الحادية عشرة .

٦ — مرحلة التعبير الواقعى — وتبدأ من سن الحادية عشرة إلى سن الثالثة عشرة .

٧ — مرحلة المراهقة — وتبدأ من سن الثالثة عشرة إلى سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة .

والآن دعنا نتناول خصائص كل مرحلة على حدة وموقف المدرس منها عند التوجيه والإرشاد .

مرحلة ما قبل التخطيط

تبدأ من الولادة إلى سنتين تقريباً

تعتبر مرحلة ما قبل التخطيط مرحلة إعداد وتحضير للمراحل السابقة . فمن الملاحظ أن الطفل فى هذه السن ليس لديه سوى الرغبة فى التعبير عن نفسه وعما يحيط به برموز خاصة غير شائعة أو موحدة بين الأطفال . لهذا لانستطيع القول بأن طفل هذه المرحلة له اتجاهات معينة عند التعبير الفنى . بقدر ما نلمس منه رغبة مبهمة نحو التعبير عن نفسه . وواجبنا أن نهيئ له من الخامات والأدوات يسيرة التشكيل كالورق والرمل والطباشير ما يحقق له هذه الرغبة . حتى تتضح رموزه ويصبح لها اتجاهات معينة وموحدة بين الأطفال جميعاً . وذلك فى سن الثانية تقريباً .

مرحلة التخطيط

تبدأ من سنتين إلى ٤ سنوات تقريباً

التخطيط غير المنظم

عندما يبلغ الطفل سن الثانية تقريباً يلاحظ أنه عن طريق الصدفة . أو رغبة منه فى تقليد الكبار . يأخذ فى عمل تخطيطات غير منظمة . أى تخطيطات فى اتجاهات مختلفة . وهى فى الغالب لا تنم عن شىء سوى عن بعض الإحساسات العضلية أو الجسمانية . انظر الشكل (١) و (٢) .

التخطيط المنظم

ولكن بعد فترة من الزمن نلاحظ أن هذا التخطيط غير المنظم يبدأ فى التطور حتى يأخذ مظهراً نظامياً

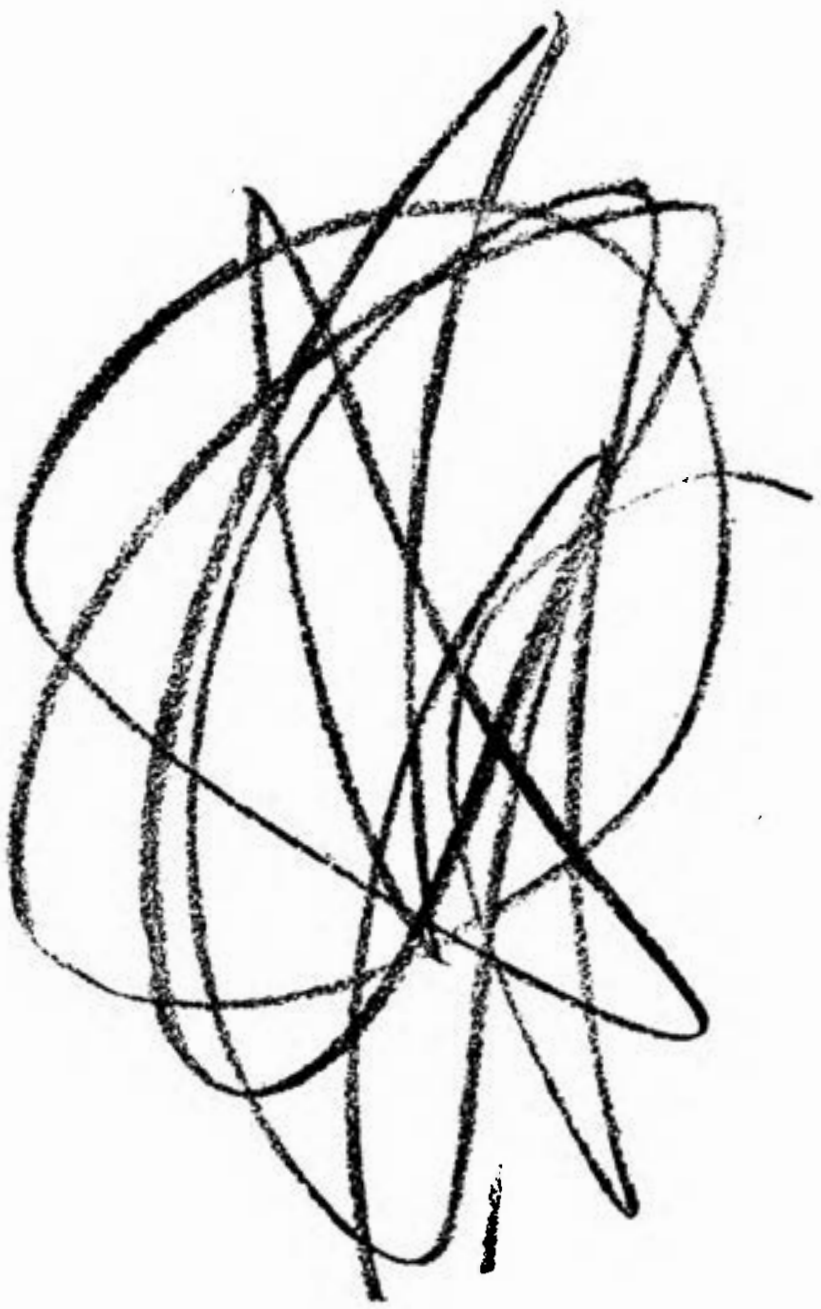

شكل (١) « تخطيط غير منظم » السن سنتان تقريباً . نلاحظ فى هذه الصورة كيف اتجه الطفل إلى عمل تخطيطات فى اتجاهات مختلفة ، وكيف أنها تعبر عن بعض الإحساسات العضلية أو الجسمانية للطفل .

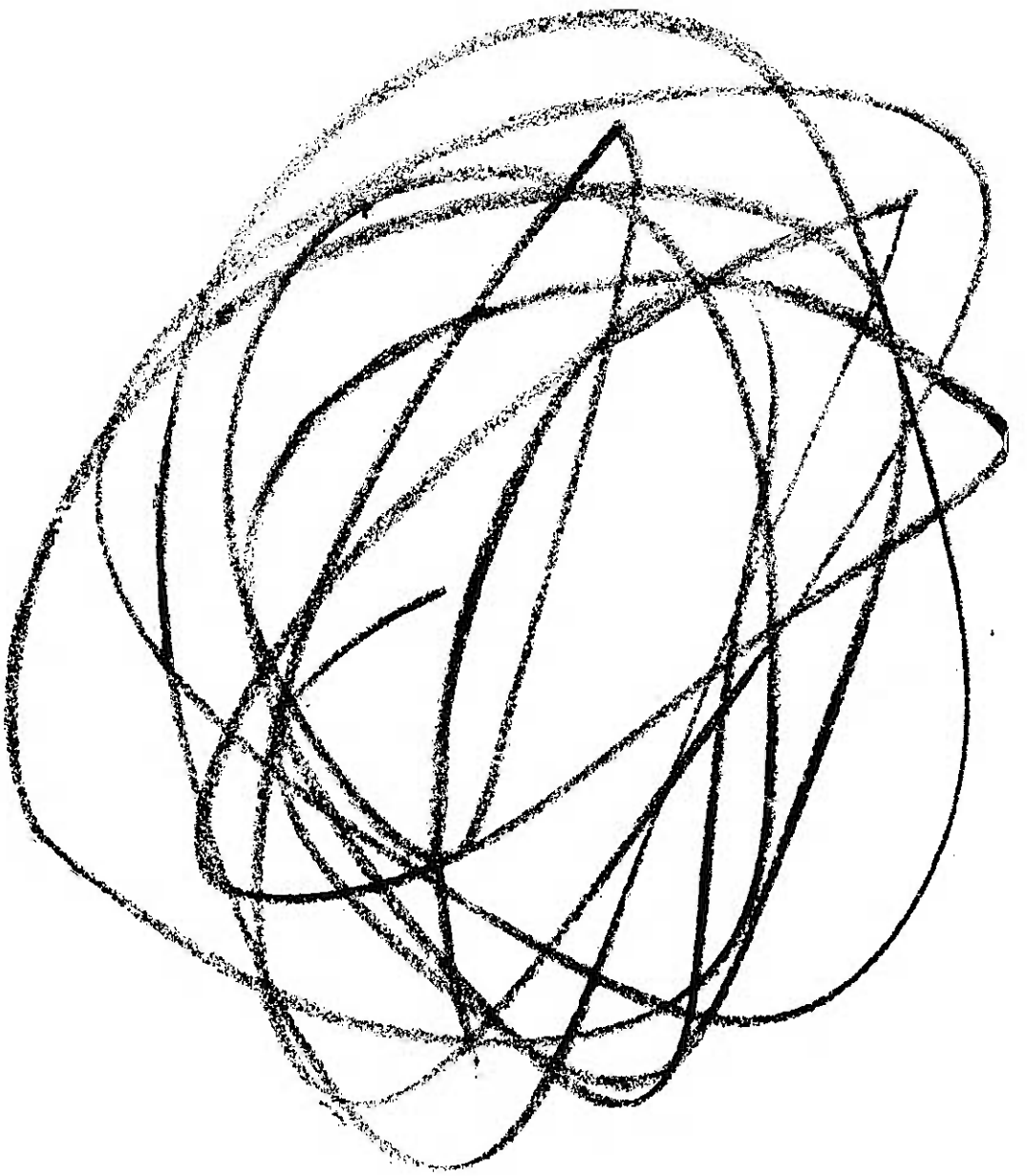

شكل (٢) « تخطيط غير منظم » السن سنتان تقريباً . هذا مثال آخر لما يسمى بالتخطيط غير المنظم .

شكل (٣) « تخطيط منظم » السن سنتان ونصف تقريباً . نلاحظ فى هذه الصورة كيف بدأ التخطيط يدخله شىء من النظام ، فظهر فى اتجاه واحد مما يدل على أن الطفل قد تطور عن ذى قبل .

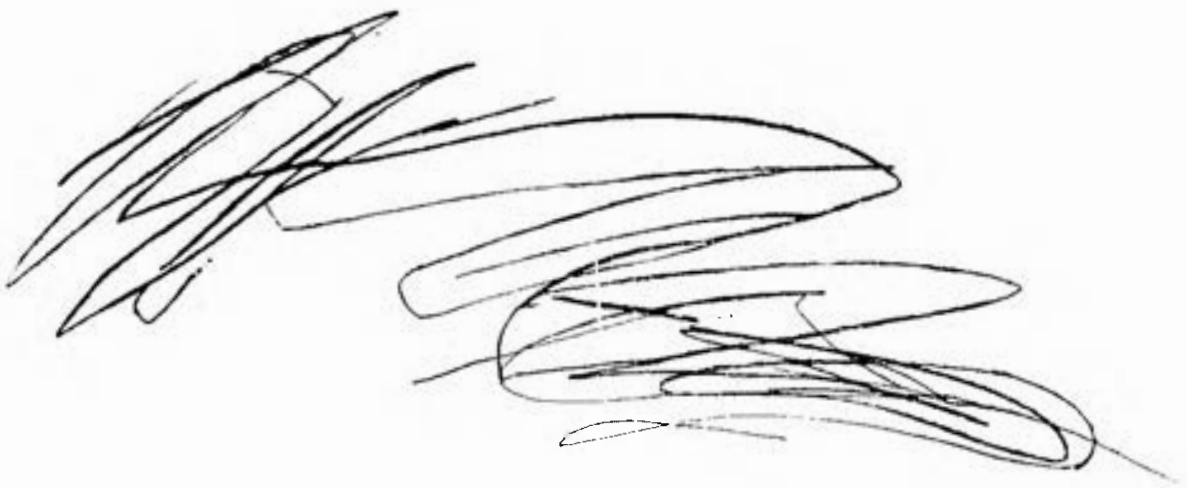

شكل (٤) « تخطيط منظم » السن سنتان ونصف تقريباً . هذا مثال آخر للتخطيط المنظم .

خاصًّا ، إما تخطيطًا أفقيًّا ، وإما رأسيًّا ، وإما مائلا . ويعلل العلماء هذا التطور بأنه يرجع إلى إدراك الطفل للعلاقة بين حركات يديه وبين أثرها على الورق أو الجدران . إذ أن هذا التطور يرجع فى أساسه إلى نمو الطفل وقدرته على إدراك البيئة الخارجية كشىء منفصل عنه . ولكن على الرغم من هذا فالتخطيطات التى يقوم بها لاتعبر إلا عن بعض الإحساسات العضلية أو الجسمانية . انظر شكل (٣) و (٤) .

التخطيط الدائرى

وفى حوالى سن الثالثة يتطور التخطيط المنظم إلى تخطيط دائرى . أى خطوط شبه دائرية . وسبب هذا التطور يرجع إلى قدرة الطفل على التحكم فى عضلاته والسيطرة على حركاته المختلفة . ولكن على الرغم من هذا فإن التخطيطات الدائرية التى يقوم بها الطفل لاتعبر إلا عن بعض الإحسات العضاية والجسمانية . انظر شكل (٥) .

الرموز المسماة

أما فى سن الرابعة تقريبًا فيبدأ تعبير الطفل فى التحول من الإحساسات العضلية والجسمانية إلى الخيال الذى يعتمد على التفكير . ومظهر هذا عبارة عن رموز متنوعة يقوم بها الطفل ثم يطلق عليها أسماء . كأن يرسم مثلا . خطًّا ، ثم يقول : هذا « ماما » أو « بابا » . أو يذكر التسمية أولا ، فيقول مثلا . إننى سأرسم « بابا » أو « ماما » ، ثم يشرع بعد ذلك فى رسم بعض الرموز أو الخطوط . لهذا فتعبير الطفل فى هذه الفترة سواء كان عن بعض الأشخاص أو الطيور ، أو غير هذا وذاك مما يحيط به ، عبارة عن رموز خيالية لاتعرف إلا عن طريق التسمية . وإذا ما كان له أن يستخدم اللون كان استخدامه له من أجل التفرقة بين الرموز . كأن يرسم الرمز الذى يعبر به عن « ماما » بلون أخضر ، والرمز الذى يعبر به عن « بابا » بلون أحمر . لأنه يريد التعبير عن الفرق بين شخصية كل منهما وليس عن الملابس الخضراء أو الحمراء التى يرتديها كل من الاثنين . انظر أشكال (٦ ، ٧ ، ٨) .

واجب المدرس

هذه هى أهم الاتجاهات التى نعرفها عن فن الطفل من سن الثانية إلى الرابعة . وواجب المدرس عند التوجيه يتلخص فى أن يهيئ للطفل من الخامات والأدوات السهلة التشكيل كالورق والطباشير والأقلام ، ما يساعده على التعبير والاستمرار فيه ، دون أن يتعرض إلى أسلوبه أو طريقته فى العمل . وفى فترة التسمية أو الرمزية بالذات ، ينبغى على المدرس أن يزيد من خبرة الطفل ووعيه بالنسبة للوسط الذى يعيش فيه . وذلك بأن يطلب منه أن يعبر عن محتويات منزله عندما يقتصر تعبيره عن والديه . أو يعبر عن كل ما يراه فى الشارع عندما لا يعرف سوى السيارة أو الترام للتعبير عنهما . ففى هذا النوع من التوجيه تنمية لوعى الطفل وكثرة فى رموزه وتنوعها .

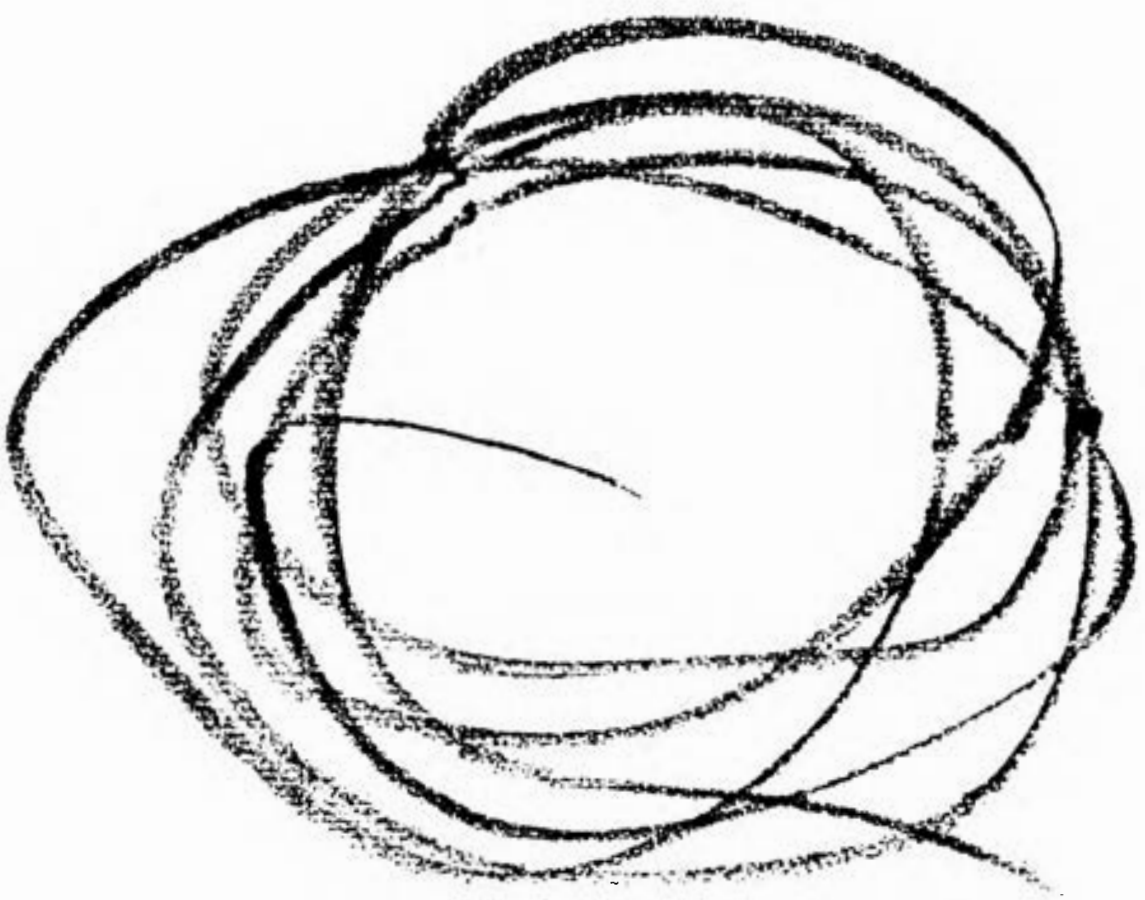

شكل (٥) «تخطيط دائرى » السن ٣ سنوات تقريباً . نلاحظ فى هذه الصورة أيضاً خطوة أخرى نحو النمو الذى يظهر أثره فى تخطيط دائرى . وذلك لأن هذا النوع من التخطيط يحتاج إلى مقدرة على التحكم فى عضلات اليد . وهذا ما يعبر عنه هذا النوع من التخطيط .

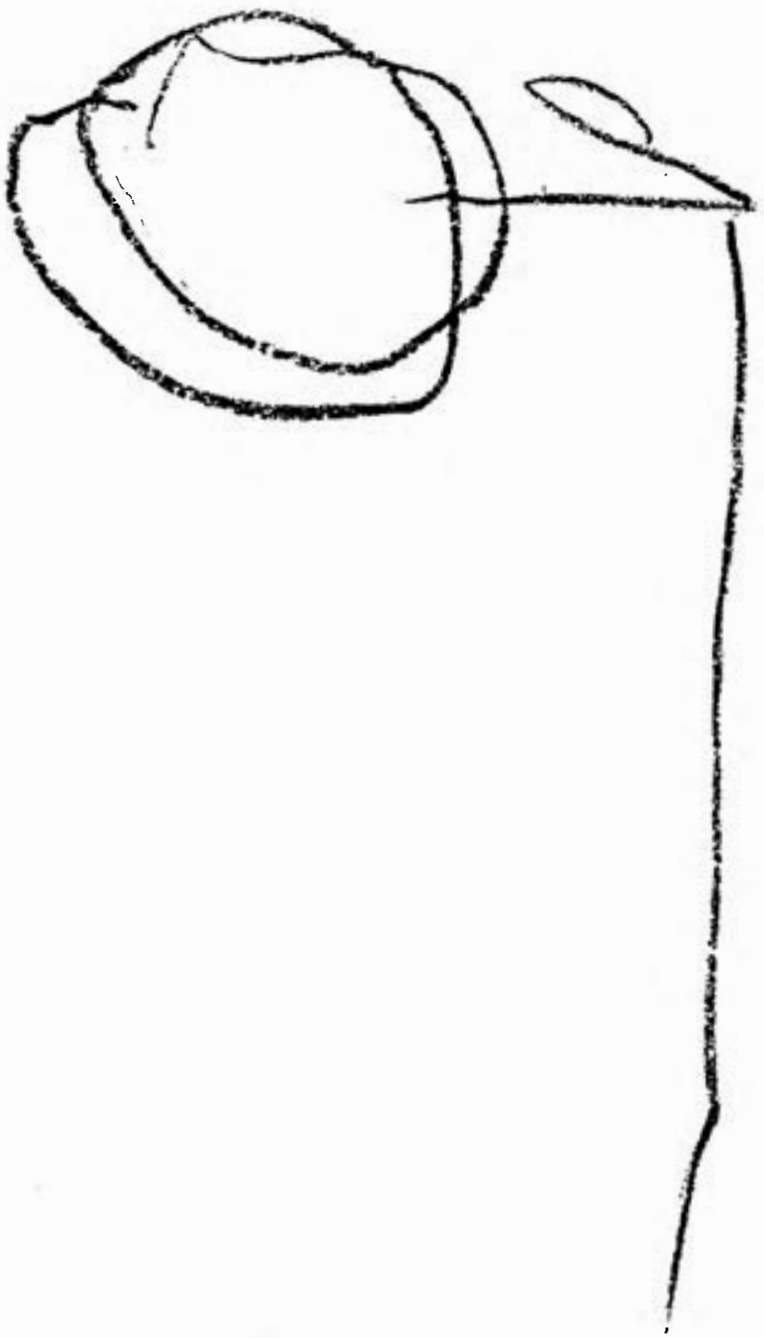

شكل (٦) « رموز مسماة » السن ٤ سنوات تقريباً . نلاحظ فى هذه الصورة ما نسميه بالرموز المسماة . فبعد ما كانت تعبيرات الطفل تنم عن الإحساسات العضلية ، أصبحت الآن عبارة عن رموز خيالية لا تعرف إلا عن طريق التسمية . فهذا الرمز الذى أمامنا قد تحدث عنه الطفل وقال « هذا فيل » .

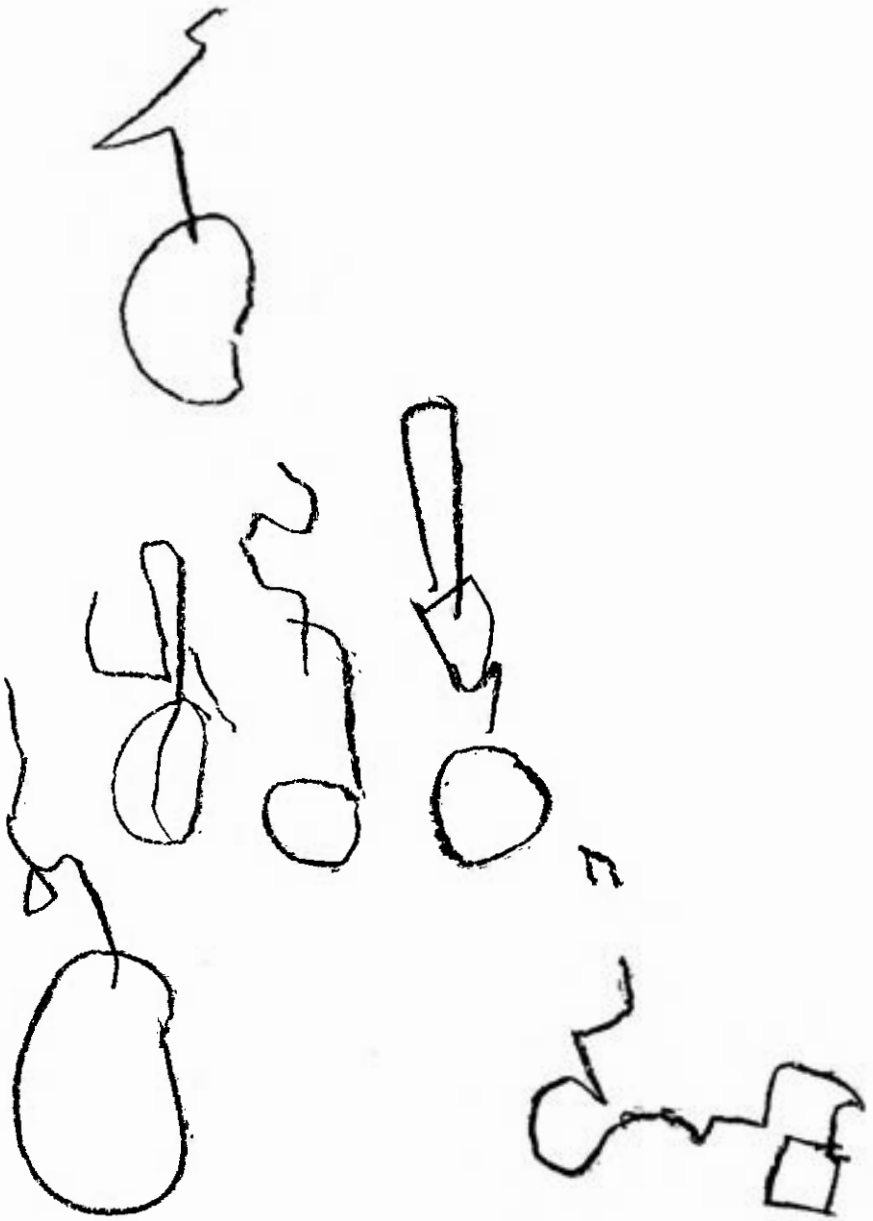

شكل (٧) رموز مسماة » السن ٤ سنوات تقريباً . وهذا مثال آخر للرموز المسماة . لقد تحدث عنها الطفل وقال عن بعض منها هذا « بابا » ، وهذه « ماما » أو هذا هو الكرسى . إنها رموز لا تعرف إلا بتسمية الطفل لها .

شكل (٨) «رموز مسماة» السن ٤ سنوات تقريباً. هذا مثال ثالث للرموز المسماة. لقد تحدث الطفل عن هذه الرموز فقال: «هذا عصام ودراجته» .

ملخص عام للمرحلة :

المرحلة	اتجاهاتها	التعبير عن الأشخاص	التعبير عن القريب والبعيد	استخدام اللون	موقف المربى
التخطيط غير المنظم	(١) احساسات عضلية وجسمانية (٢) حركات غير نظامية فى اتجاهات مختلفة	———	———	(١) وعى ناقص بالنسبة للون (٢) استخدام اللون من أجل الاستماع اللاشعورى	(١) تشجيع الطفل نحو الاستمرار فى التعبير (٢) احترام أسلوب الطفل واتجاهه فى التعبير (٣) تهيئة الجو المناسب كى يستمتع الطفل بالتعبير
التخطيط المنظم	(١) إحساسات عضلية وجسمانية فى اتجاه واحد (٢) إدراك العلاقة بين حركات اليد والتخطيط على الورق	———	إحساسات عضلية	نفس الأتجاهات السابقة	الاستمرار فى نفس التوجيه السابق
التخطيط الدائرى	(١) وعى بذاتية الطفل لنفسه (٢) قدرة على التحكم فى الحركات المختلفة	———	إحساسات عضلية	نفس الاتجاهات السابقة	الاستمرار فى نفس التوجيه السابق
الرموز المسماة	(١) تحول من الإحساسات العضلية الجسمانية إلى الخيال الفكرى (٢) ربط بين الرموز الحركية وتسميتها بأسماء	(١) مدركات خيالية لا تعرف إلا عن طريق التسمية	مدركات خيالية	استخدام اللون من أجل التفرقة بين معانى الرموز	(١) مساعدة الطفل على النمو الذاتى والشعور بكيانه (٢) تكملة خبرات الطفل ووعيه بالنسبة للمحيط الخارجى بنفس طريقته فى التعبير (أين «بابا ؟» مع من يجلس ، ماذا أمامه . . إلخ)

تدريبات لدراسة فن الطفل فى هذه المرحلة

١ — تتبع الحالة التاريخية لطفل عادى من خلال ما يقوم به من تخطيطات :

أولا : اجمع كل تخطيطات الطفل .

ثانيا : اكتب اسم الطفل وعمره الزمنى خلف كل تخطيط يقوم به .

ثالثا : دون خلف كل تخطيط . جميع الملاحظات والتعليقات التى يأتيها الطفل فى أثناء التخطيط .

رابعا : احتفظ بمذكرة صغيرة تدون فيها كل ماتلاحظه على الطفل فى أثناء التخطيط بحيث تتضمن : نوع الحركة الجسمانية التى تتصل بكل تخطيط وكيفية الأداء . هل يأتى الطفل كل تخطيط بشىء من التركيز ، أوعن طريق عشوائى ؟ الحركة الجسمانية التى يأتيها الطفل فى أثناء التخطيط . هل هى من مفصل اليد ، أو من مفصل الكوع ، أو بأكمل الذراع ، أى من الكتف ؟ — أنواع الانفعالات التى تصاحب الطفل فى أثناء التخطيط .

خامسا : لاحظ إلى أى مدى يستطيع الطفل التحكم فى حركاته الجسمانية فى بعض مواقف حياته مثل ، كيفية الأكل ، واللبس والمشى وفك رباط الحذاء . . . إلخ .

سادسا : لاحظ التغيرات التى تحدث على كل تخطيط يقوم به الطفل والفروق المختلفة بينهما .

سابعا : كون نتائج نهائية من ملاحظاتك عن الطفل والتخطيطات التى يقوم بها ، لتبين مدى العلاقة بين اتجاهات الطفل العامة ، واتجاهاته الفنية فى هذه المرحلة .

٢ — اجمع عدداً كبيراً من التخطيطات المختلفة ، ثم حاول تبويبها إلى تخطيط غير منظم وتخطيط منظم ، وتخطيط دائرى ، ورموز مسماة .

٣ — عندما يبدأ الطفل فى الرموز المسماة ، لاحظ الحالات التى يبدأ فيها بالتسمية ثم التخطيط ، والحالات التى يبدأ فيها بالتخطيط ثم التسمية .

٤ — لاحظ المحاولة الأولى التى يبدأ فيها الطفل بتكوين العلاقة بين رسومه والواقع .

٥ — لاحظ أثر الإرشاد أو التوجيه فى أثناء فترة الرموز المسماة ، وذلك بمقارنة بعض رموز قام بها الطفل دون توجيه ، ورموز أخرى قام بها بناء عن توجيه وإرشاد .

مرحلة تحضير المدرك الشكلى

تبدأ من أربع إلى ٧ سنوات تقريباً

رسوم محملة بالخبرة الواقعية

لاشك أن طفل هذه المرحلة قد نضج عقلياً وجسمانياً واجتماعياً عن ذى قبل . وكل هذا له أثر واضح فى تعبيره الفنى . فبعدما كانت رموزه فى المرحلة السابقة لا تعرف إلا عن طريق التسمية أصبحت الآن رموزاً محملة بالخبرة . بمعنى أننا نستطيع أن نتبين ما إذا كانت الرسوم تعبر عن إنسان أوحيوان . أو غير هذا أو ذاك مما يحيط بعالم الطفل ، إنها رسوم تعتمد على التفكير المستمد من الواقع .

رسوم تغلب عليها الناحية شبه الهندسية

وإذا كان هذا أول اتجاه نلاحظه على تعبير الطفل فى هذه المرحلة . فنلاحظ أيضاً أن رسومه تغلب عليها الخطوط شبه الهندسية . فمثلا إذا ما بدأ للطفل أن يعبر عن إنسان ، كان الرأس عبارة عن شبه دائرة ، والأذرع والأرجل لا تخرج عن كونها خطوطاً مستقيمة أو منحنية . ويمكننا أن نرجع هذا إلى النشاط الحركى والعضلى الذى يتميز به الطفل فى هذه السن . أنظر شكل (٩ ، ١٠) .

تنوع فى رسوم العنصر الواحد

وإلى جانب هذا نلاحظ أيضاً أن رسوم هذا الطفل تتميز بالتنوع . إذ أنه يميل بطبيعته إلى أن يأتى كثيراً من الحركات ذات الأنماط المختلفة . لهذا نرى منه رسوماً متنوعة تعبر عن العنصر أو الشىء الواحد . فمثلا إذا ما طلب منه التعبير عن إنسان فى مرات متعددة ، جاءت رسومه فى كل مرة منها تختلف عن المرة الأولى . ومثل الطفل فى هذه المرحلة كمثل من يبحث عن رموز معينة لم يهتد إليها بعد ، إنها مرحلة بحث وتجريب فى الرسوم . لهذا كانت الرموز فيها تتسم بالتنوع والاختلاف . أنظر شكل (٩ ، ١٠) .

اتجاه ذاتى نحو العلاقات المكانية للأشياء

أما عن اتجاه الطفل نحو العلاقات المكانية وبين الأشياء ، فهو اتجاه ذاتى . فالطفل لا يعنيه عندما يريد التعبير عن الشارع مثلا ، أن يكون الترام فى الوسط والأشجار على الجانبين . بقدر ما يعنيه أن تكون هذه الأشياء

موجودة على الورقة أو السطح الذى أمامه . كما لا يعنيه عندما يريد التعبير عن إناء به أزهار ، أن تكون الأزهار بداخل الإناء ، إنما يكون هناك رسم يعبر عن الإناء وآخر يعبر عن الأزهار بصرف النظر عن العلاقة المكانية بين العنصرين . إن إدراك الطفل لما نسميه بالعلاقات المكانية للأشياء إدراك يعتمد على المعرفة وليس على الرؤية البصرية ، إنه إدراك ذاتى لا موضوعى .

استخدام اللون من أجل المتعة والتفرقة بين العناصر

وإذا كان هذا هو اتجاه الطفل عند التعبير عن العلاقات المكانية للأشياء ، فهو نفس الاتجاه عندما يستخدم الألوان . إذ أن استخدامه لها استخدام ذاتى لا يعتمد على الرؤية البصرية . لهذا نشاهده وهو يستخدم اللون الأحمر يعبر به عن السماء الزرقاء ، واللون الأحمر ليعبر به عن الأشجار الخضراء . وبدهى إن دل هذا عن شىء فإنما يدل على أن الطفل فى هذه الفترة من حياته يستخدم الألوان من أجل التفرقة بين العناصر التى يريد التعبير عنها ، كذلك من أجل المتعة النفسية أو الذاتية .

واجب المدرس

هذه هى أهم الاتجاهات عندما يكون الطفل فى الفترة ما بين الرابعة والسابعة . وواجب المدرس ينحصر فى أن لا يتعرض لطريقة الطفل أو أسلوبه عند التعبير . بل يشجعه على الاستمرار فى مزاولة النشاط الفنى ، وذلك بتهيئة الجو المناسب للعمل ، وإعداد الخامات والأدوات الصالحة كالورق والطباشير والأصباغ والصلصال . كما ينبغى عند إثارة الطفل نحو التعبير أن تكون الموضوعات عن طريق الخبرة الذاتية للطفل نفسه . فلا يطلب منه التعبير عن مشهد رآه بقدر ما يطلب منه التعبير عن حدث قام به . عندئذ تخرج تعبيرات الطفل صادقة ملؤها الحياة ، لأن الطفل فى هذه السن لا يستجيب بطبيعته للخبرات البصرية بقدر مايستجيب للخبرات الحسية أو اللمسية .

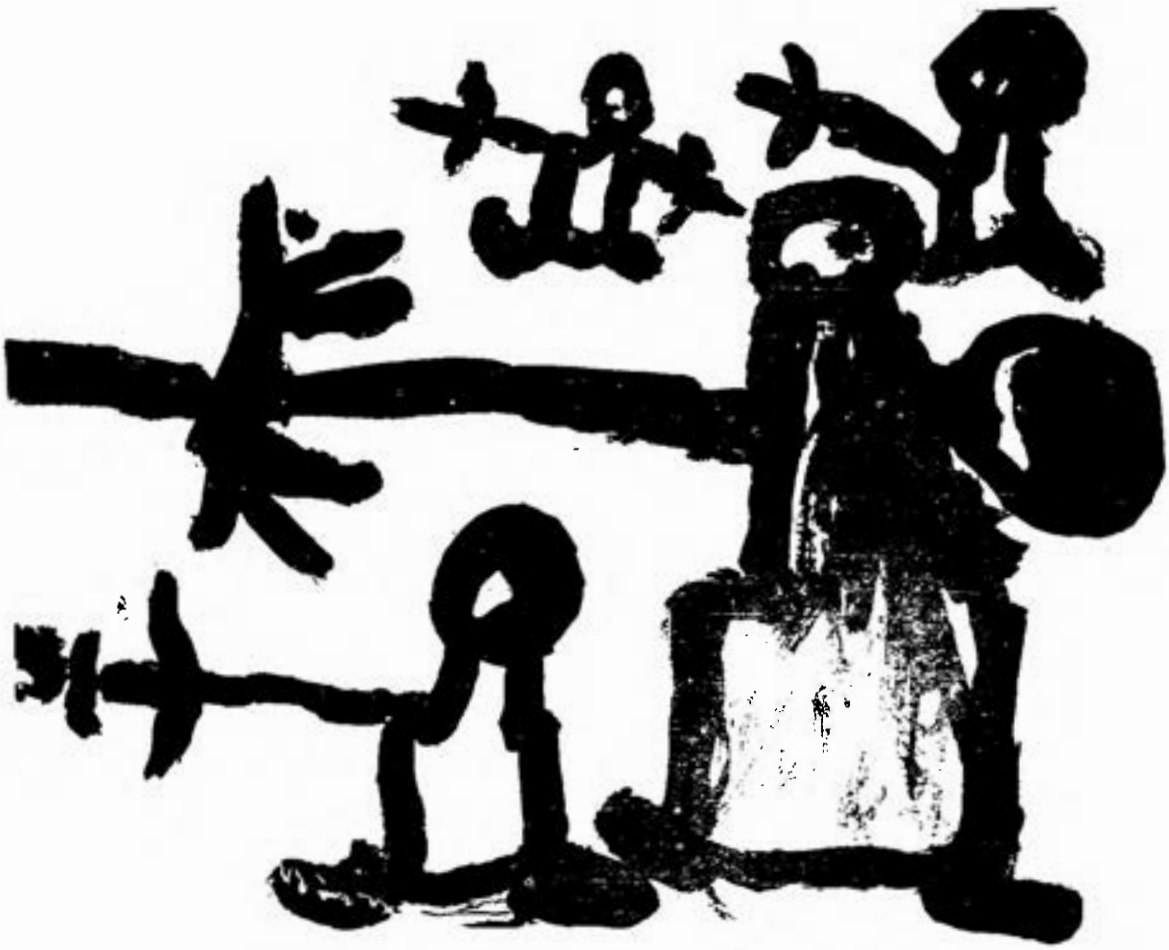

شكل (٩) «اللعب فى الشارع» السن ٥ سنوات . هذا مثال جيد يعبر عن اتجاهات الطفل فى سن الخامسة ، فنلاحظ الرموز المحملة بالخبرة ، واستخدام الخطوط شبه الهندسية ، والتنوع فى الرموز ، وعدم إدراك العلاقات المكانية للأشياء

شكل (١٠) « الأسرة » السن ٥ سنوات . نلاحظ فى هذه الصورة كيف أن الرموز بدأت تظهر محملة بالخبرة الواقعية ، فنلمس منها أنها تعبر عن أشخاص دون شيء آخر . كما نلاحظ تنوع الرموز ، والخطوط شبه الهندسية التى يلجأ إليها طفل هذه السن فى تعبيراته .

ملخص عام للمرحلة

المرحلة	اتجاهاتها	التعبير عن الأشخاص	التعبير عن القريب والبعيد	استخدام اللون	موقف المربى
مرحلة تحضير المدرك الشكلى وتبدأ من ٤ إلى ٧ سنوات تقريباً	(١) إدراك العلاقة بين الرسوم والواقع عن طريق التفكير (٢) رموز محملة بالخبرة (٣) بحث مستمر فى الرسوم (٤) تنوع فى الرسوم (٥) رسوم تغلب عليها الناحية شبه الهندسية	(١) رموز محملة بالخبرة الواقعية (٢) تعبر الرموز عن معلومات الطفل وقيمتها بالنسبة له فى أثناء التعبير (المبالغة والحذف) (٣) رموز تغلب عليها الناحية شبه الهندسية	إحساسات ذاتية أو انفعالية	(١) استخدام اللون من الناحية الذاتية (٢) استخدام اللون من أجل الاستمتاع الذاتى	(١) عدم التعرض لأسلوب الطفل وطريقته فى التعبير . (٢) تهيئة الجو المناسب لمتابعة التعبير الحر (٣) إثارة الطفل عن طريق خبرته الحسية الخاصة

تدريبات لدراسة فن الطفل فى هذه المرحلة

١ — اجمع عدة رسوم واحدة لطفل ، ثم حاول أن تصف التغيرات التى تحدث فى كل عنصر قام بالتعبير عنه .

٢ — وضح الاستخدامات المختلفة للخطوط شبه الهندسية فى رسوم طفل هذه المرحلة .

٣ — حلل رسوم طفل واحد من حيث : أولا ، مدى التغيرات التى تحدث فى كل رسم يقوم به . ثانياً ، أثر المعلومات التى لها قيمة بالنسبة للطفل فى رسومه . ثالثاً ، العلاقات المكانية والزمانية للأشياء ، من حيث قدرة الطفل على إدراكها ، وهل هى علاقة موضوعية أو ذاتية . رابعاً ، الألوان واتجاه الطفل عند استخدامها .

٤ — احص عدد الرموز المختلفة التى تستطيع أن تجدها فى فصل دراسى واحد لكل من الفم ، والأنف والعينين .

٥ — اعط موضوعات واحدة ، مرة بدون إثارة ، ومرة أخرى بإثارة مناسبة ، ثم قارن بين النتيجتين موضحاً أثر المعلومات التى لها قيمة بالنسبة للطفل فى رسومه ، ثم بين بالتفصيل مدى التغير الذى يحدث على رسوم الطفل :

مرحلة المدرك الشكلى

تبدأ من ٧ إلى ٩ سنوات تقريباً

عندما يبلغ الطفل هذه المرحلة من حياته تكون شخصيته قد تحددت معالمها وذلك بفضل نضوجه العقلى والاجتماعى . وأثر هذا ملحوظ فى تعبيره الفنى ، إذ نلاحظ أن رسوم هذه المرحلة تتسم بالحرية والتلقائية ، وتحمل بين ثناياها سمات أصحابها المميزة لكل منهم . هذا فضلا عن بعض الاتجاهات الأخرى الشائعة بين الأطفال ممن هم فى هذه السن نذكرها فيما يلى :

التكرار فى الرسوم

ومن هذه الاتجاهات التكرار المستمر فى الرسوم . بمعنى أننا نلاحظ أن طفل هذه المرحلة . بعد ما كان رائده التنوع فى الرسوم ، قد استقر الآن على عدد معين من الأشكال يكررها بصفة مستمرة . فتعبيره عن الشجرة مثلا ، قد أصبح له رمز ثابت يلجأ إليه كلما طلب منه التعبير عن الشجرة . ومثل الشجرة كمثل السيارة والمنزل والترام ، قد أصبح لكل منها لدى الطفل رمز معين . ويعلل الباحثون أن سبب هذا هو نتيجة طبيعية للمرحلة السابقة ، عند ما كان الطفل دائم البحث والتنوع فى الرسوم . فإذا كان له أن يكرر الآن ، فهذا دليل على أنه قد عثر على ما كان يبحث عنه من رموز . إذن فتكرار الطفل فى هذه المرحلة لا يعد مظهراً من مظاهر الضعف أو الركود الفنى ، بل مظهراً من مظاهر النشوة والسرور . انظر شكل (١١) .

المبالغة والحذف

ولكن يجدر بنا أن نعلم أن طفل هذه المرحلة غالبًا ما يلجأ إلى تغيير رموزه تبعًا لانفعالاته المختلفة . فمثلا إذا طلب منه التعبير عن إنسان يجرى أو يقفز ، كان تعبيره عبارة عن صورة لإنسان مبالغ فى أرجله ، بينما بقية أجزاء الجسم قد يحذفها الطفل أو يرسمها بحجم صغير . كذلك لو طلب منه التعبير عن إنسان يأكل أو يشرب ، كانت الأيدى والوجه هى الأجزاء المبالغ فى حجمها ، بينما الأرجل هى الأجزاء المبالغ فى صغرها . والطفل إذ يفعل هذا ، إنما يريد تأكيد العناصر التى لها قيمة بالنسبة له . ويقلل من قيمة العناصر التى لا يشعر بأهميتها فى أثناء التعبير . انظر شكل (١٢ ، ١٣) .

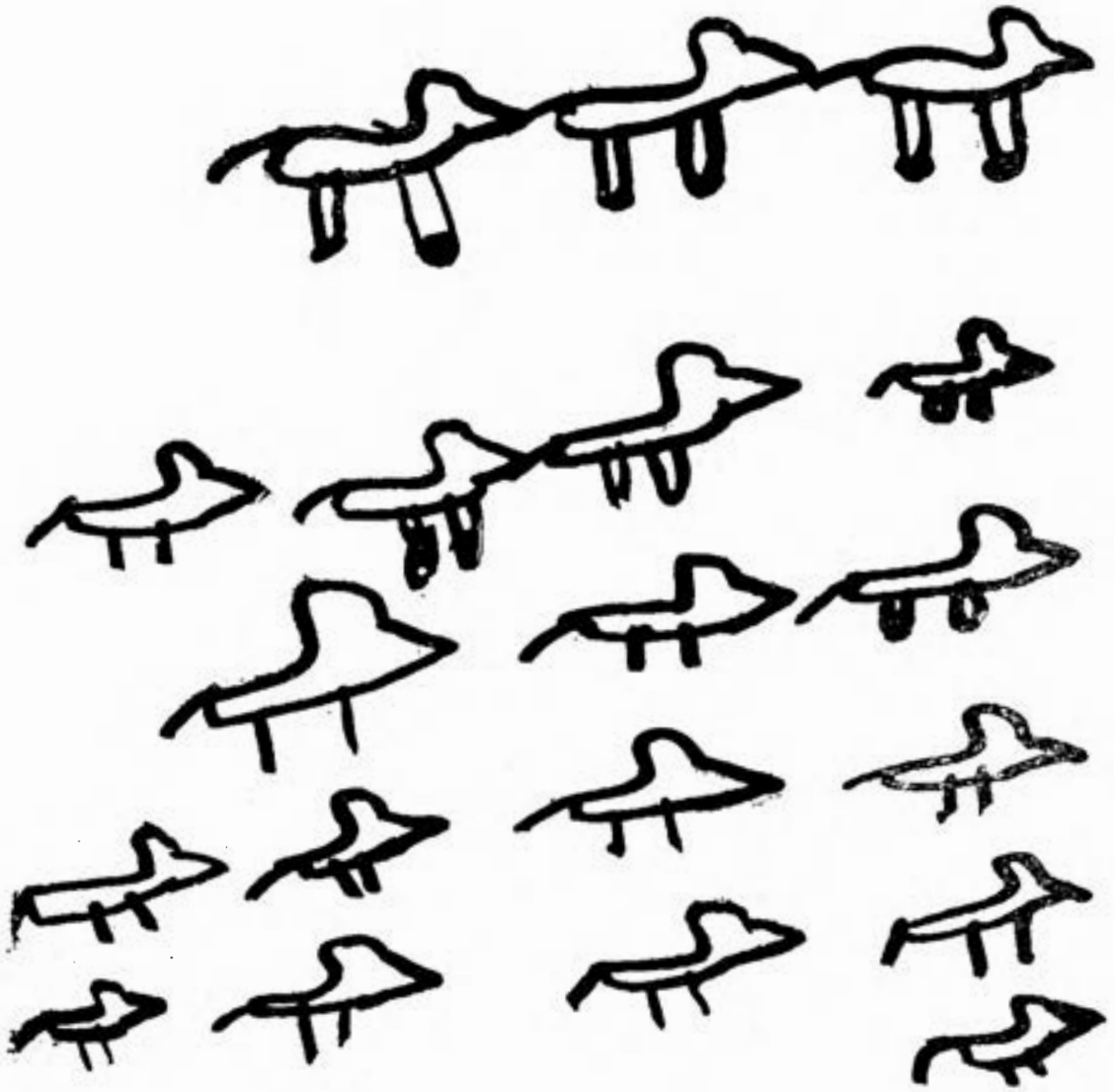

شكل (١١) « الطيور » السن ٨ سنوات . نلاحظ فى هذه الصورة كيف دأب الطفل على تكرار رموزه ، فظهرت جميع الرسوم التى تعبر عن الطيور فى شكل واحد . وهذا ما نسميه بتكرار المدرك أو الموجز الشكلى للرسوم . والطفل عند ما يكرر كما هو الحادث فى هذه الصورة : إنما يكرر لأنه مستمتع ، خاصة بعد المرحلة السابقة ، مرحلة البحث والتنوع فى الرسوم .

شكل (١٢) « صياد السمك » السن ٧ سنوات . نلاحظ فى هذه الصورة كيف بالغ الطفل فى اليد التى تمسك السماك لأداة التى لها وظيفة فى أثناء هذه اللحظة (لحظة صيد السمك) .

شكل (١٣) « قطف الثمار » السن ٧ سنوات . هذا مثال جيد يوضح لنا اتجاه المبالغة والحذف . إذ نلاحظ فى هذه الصورة كيف بالغ الطفل فى الذراع الذى يقطف بها الثمار من الشجرة بينما بالغ فى صغر الذراع الأخرى . . لأن الذراع التى يقطف بها هى أداة الاستعمال وموضع اهتمام الطفل فى هذه الحالة .

التسطيح

وإذا كانت رغبة الطفل فى المبالغة والحذف هى التعبير عما يشعر به ويعرفه عن الأشياء لا عما تكون عليه من الناحية البصرية ، كانت هى الرغبة نفسها عندما يلجأ إلى ظاهرة التسطيح . والمقصود بالتسطيح هو أن يرسم الطفل رسومًا شبه انفرادية لاتحجب بعض عناصرها البعض الآخر . كما هو الحال عندما يرسم الطفل منضدة ويوضح أرجلها الأربع . أو يرسم منزلا ويوضح جوانبه الأربعة ، أو يرسم عربة ويوضح أجزاءها دون أن يحجب جزء منها الأجزاء الأخرى كما تظهر العربة عادة عن الناحية البصرية . انظر أشكال (١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧) .

الشفوف أو الشفافية

وإلى جانب ظاهرة التسطيح نلاحظ اتجاهاً آخر يلجأ إليه الطفل وهو الشفوف أو الشفافية ، ومعنى هذا أن الطفل فى رسومه لا يعترف بالحقائق المرئية بقدر ما يعترف بالحقائق الذهنية أو المعرفية عند التعبير . فمثلا ، إذا طلب منه التعبير عن طائر وهو يلتقط الحب ، عبر عن الطائر وقد أظهر لنا ما فى معدته من حبوب على الرغم من أن هذه الحبوب لا يمكن رؤيتها وهى فى جوف الطائر . كذلك عندما يعبر عن نهر مثلا ، نجد أنه يظهر لنا الأسماك وهى تسبح فى الماء على الرغم من أن السمك لا يظهر عندما يكون الشخص على الشاطئ . وإذا ما طلب منه التعبير عن منزل مثلا ، نجد أن رسومه جاءت تعبر عن داخل المنزل وخارجه ، فيظهر لنا ما فى المنزل من أشخاص وما يحتويه من أثاث . والطفل إذ يفعل هذا إنما يريد أن يوضح الأشياء على حقيقتها المعرفية أو الذهنية لا على حقيقتها المرئية أو البصرية انظر شكل (١٨ ، ١٩) .

الجمع بين المسطحات المختلفة فى حيز واحد

وإذا كان الطفل يلجأ إلى الشفوف لتأكيد الحقائق المعرفية بدلا من الحقائق المرئية ، فهو يلجأ أيضاً إلى تأكيد الشيء نفسه عندما يستخدم ظاهرة أخرى هى الجمع بين المسطحات المختلفة فى حيز واحد . ومعنى هذا أن الطفل يعبر عن الأشياء كما لو أنه يدور حولها ، فيجمع مما يروق له من مظاهرها من زوايا مختلفة فى حيز واحد . فمثلا عندما يرسم وجهًا ، نراه قد عبر عن المظهر الجانبى والأمامى معًا ، أو عندما يعبر عن عربة يجرها حيوان ، نجد أنه قد رسم العربة كما تظهر من أعلى ، والحيوان كما يظهر من الجانب . والسر فى هذا أن الطفل يريد أن يعبر عن الأشياء فى أوضح صورة لها . لهذا نجده يجمع بين المظهر الجانبى والأمامى للوجه ، لأن المظهر الجانبى يوضح الأنف بكامل هيئته ، والمظهر الأمامى يبرز العينين والأذنين على أتم صورة لهما . انظر شكل (٢٠) .

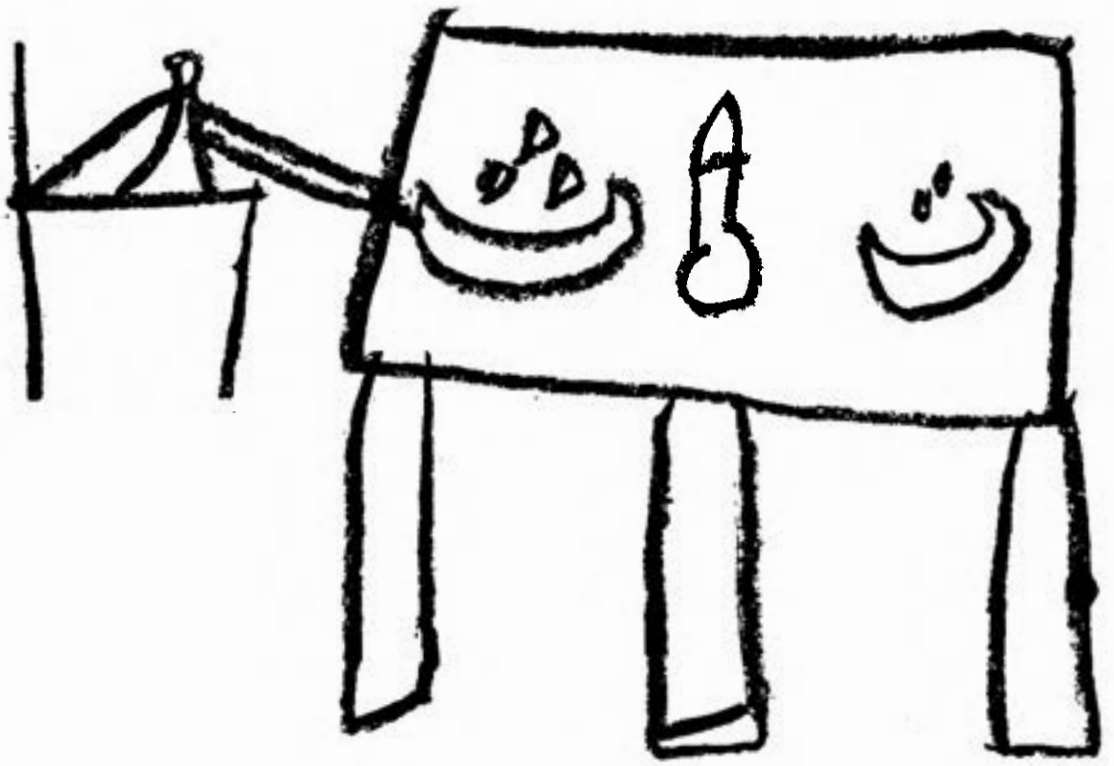

شكل (١٤) « مائدة الطعام » السن ٧ سنوات . نلاحظ فى هذه الصورة كيف عبر الطفل عن المنضدة . فجعلها تظهر بشكل تسطيحى أو انفرادى ، كما نلاحظ هذا الاتجاه فى تعبير الطفل عن الأطباق والطعام الموجود على المنضدة . إلى جانب هذا نجد اتجاه المبالغة قد ظهر فى ذراع الشخص الذى يتناول الطعام .

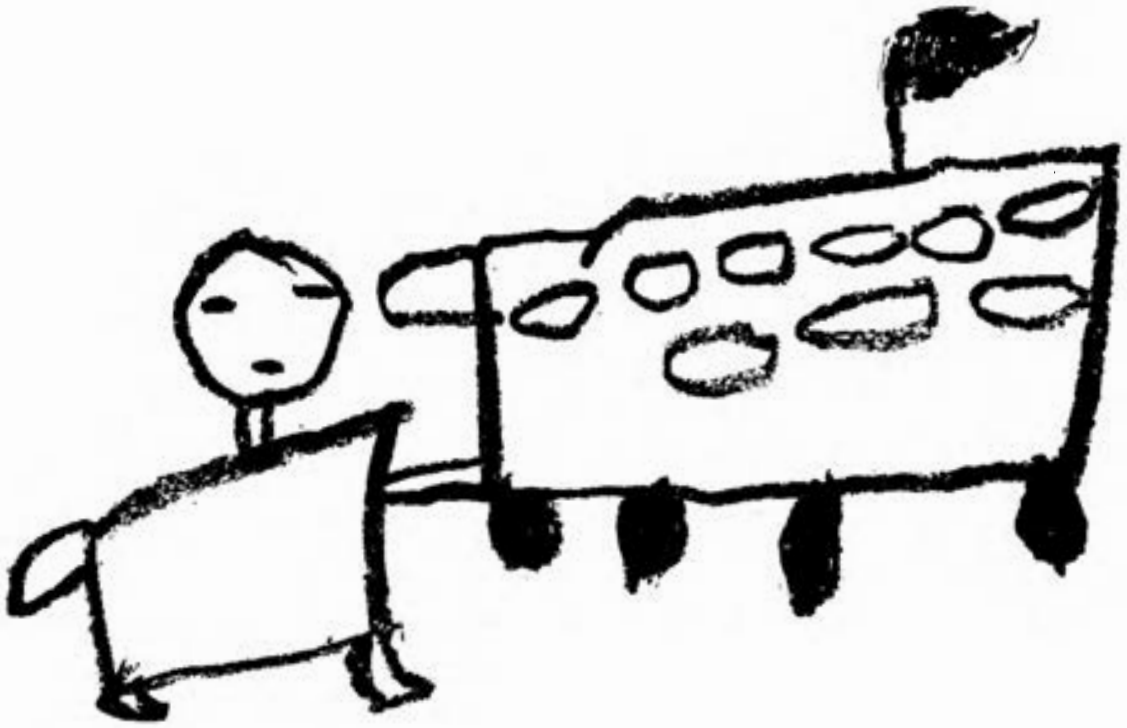

شكل (١٥) « بائع البطاطة » السن ٧ سنوات . توضح هذه الصورة اتجاه الطفل نحو التسطيح ، حيث عبر عن العربة بشكل انفرادى . كما عبر أيضاً عن الجمع بين المسطحات المختلفة فى حيز واحد . حيث وضح العربة من أعلى ، والعجلات من الجانب والرجل الذى بجوارها من الأمام .

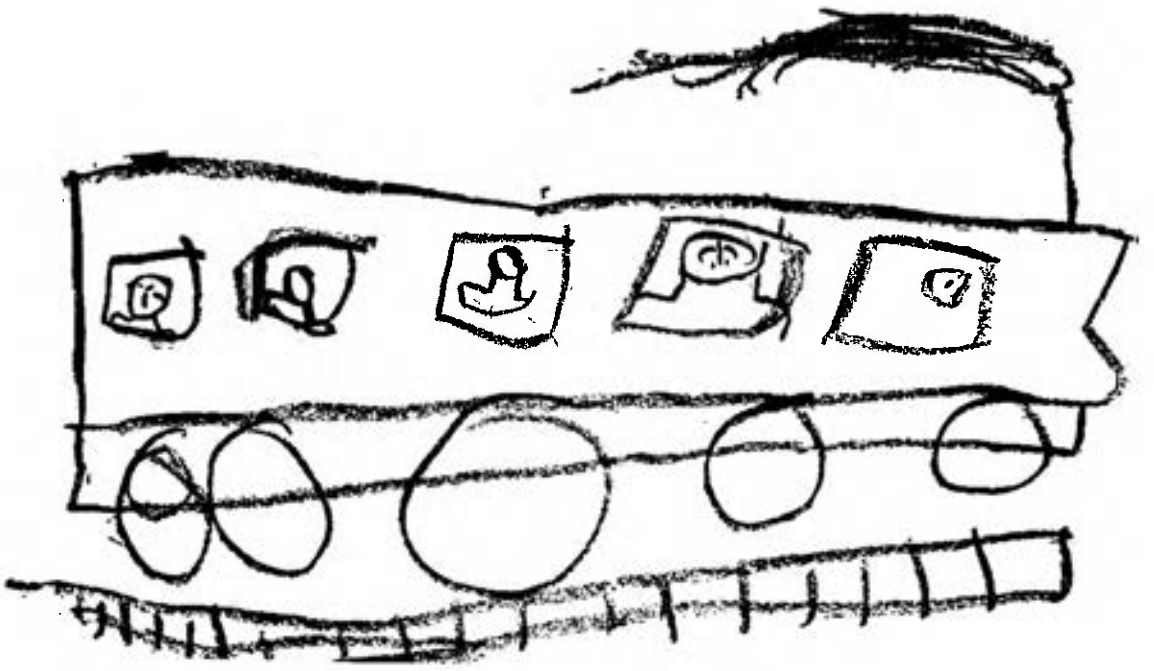

شكل (١٦) « القطار » السن ٧ سنوات . نلاحظ فى هذه الصورة كيف أوضح الطفل قضبان القطار رغبة منه فى توضيح عناصر الرسوم . وهذا الاتجاه ما نسميه بصفة التسطيح .

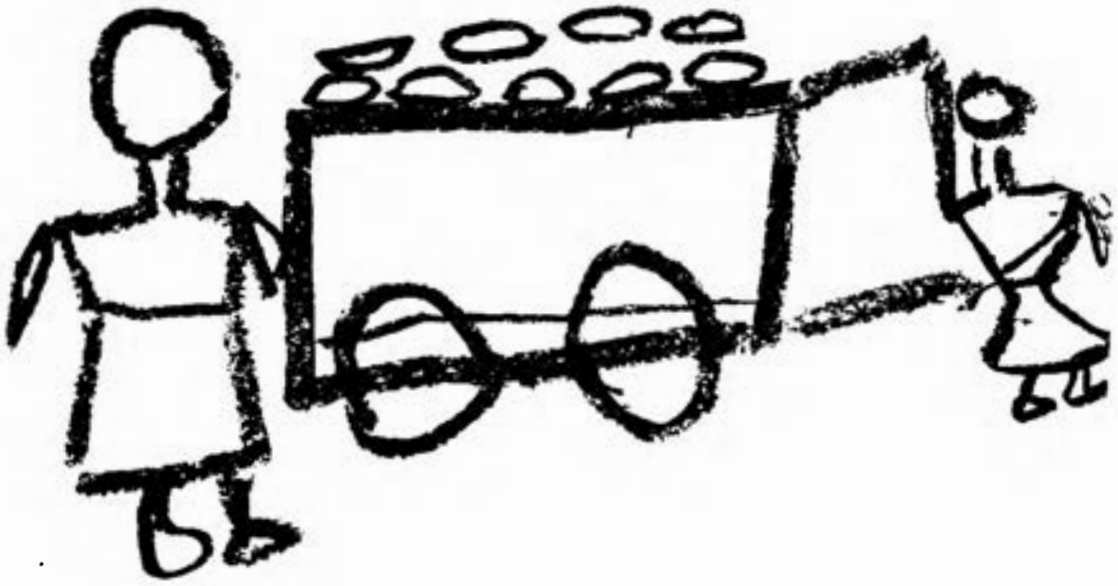

شكل (١٧) «بائع الأوانى الزجاجية والخزفية» السن ٧ سنوات . نلاحظ فى هذه الصورة صفة التسطيح حيث عبر الطفل عن الأوانى وهى لا يحجب بعضها البعض ، كما عبر عن العربة والعجلات بنفس الاتجاه .

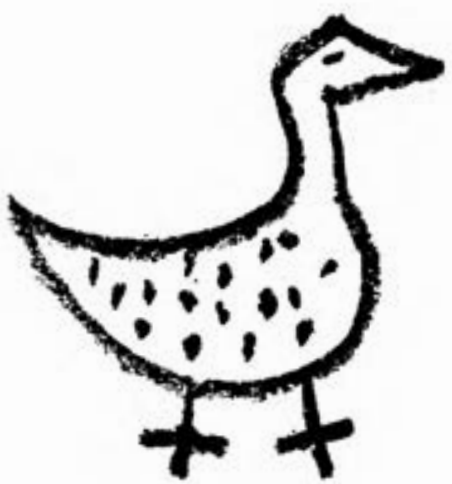

شكل (١٨) « الطائر الشبعان » ٧ سنوات . هذا مثال جيد يوضح لنا اتجاه الطفل نحو الشفوف أو الشفافية . فى هذه الصورة نلاحظ إلى أى مدى قد عبر الطفل عن بعض الطيور وهى تلتقط الحبوب ، فوضح لنا حواصلها وهى ممتلئة بالطعام ، مع أن الحبوب يستحيل علينا رؤيتها والطيور فى هذا الوضع . ولكن الطفل لجأ إلى هذا لأنه يعبر عما يعرفه عن الأشياء لا عما يراه .

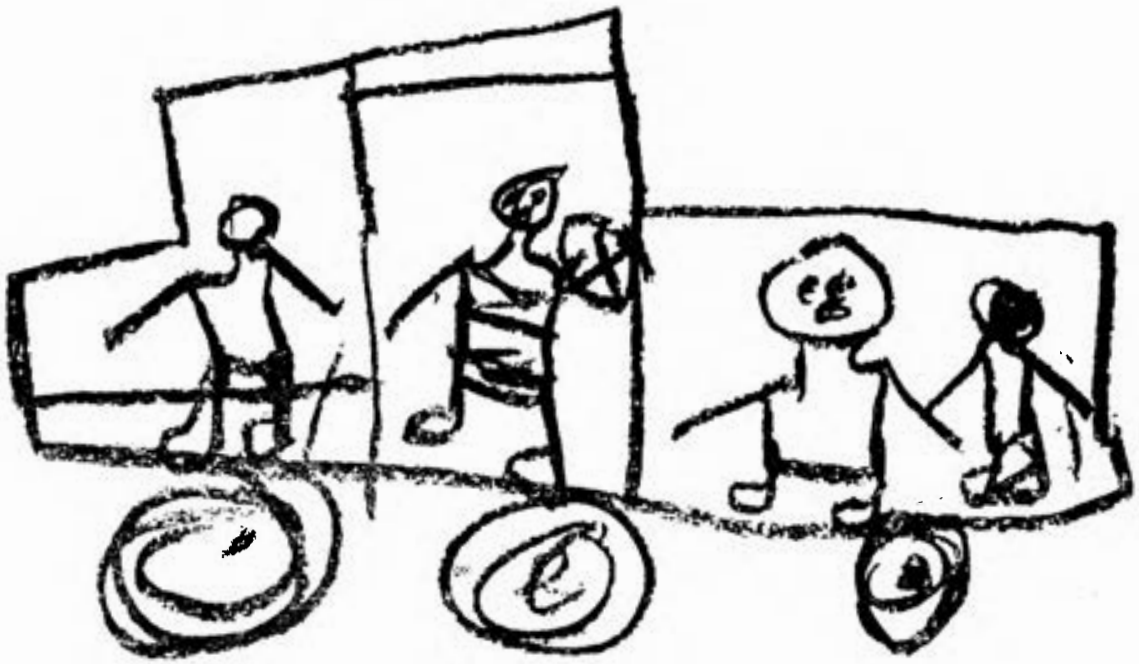

شكل (١٩) « سيارة » السن ٧ سنوات . نلاحظ فى هذه الصورة أن الطفل قد جمع بين المظهر الداخلى للسيارة حيث وضح لنا السائق وبعضاً من الركاب ، والمظهر الخارجى لها حيث وضح لنا عجلات السيارة . والطفل إذ يفعل هذا ، إنما يدل على أنه لا يعتمد فى تعبيره الفنى على الحقائق البصرية بقدر ما يعتمد على الحقائق الذهنية أو الفكرية .

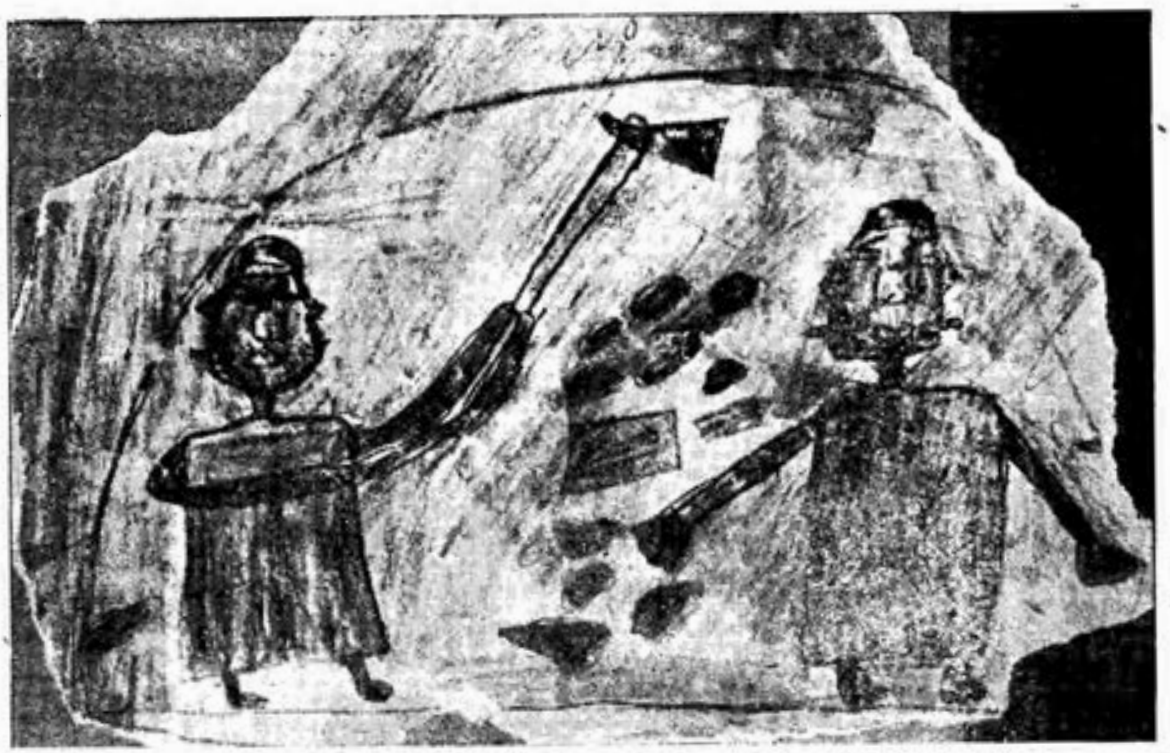

شكل (٢٠) « العمل » السن ٧ سنوات . هذا مثال نادر وجيد يوضح لنا ما نسميه بالجمع بين المسطحات المختلفة فى حيز واحد . إذ تمثل الصورة كيف جمع الطفل بين الوضع الجانبي لوجه الإنسان حيث يكون الأنف واضحاً تماماً ، والمظهر الأمامى له حيث تكون العينان بكامل صورتيهما . والطفل عندما يفعل هذا ، كأنه يدور حول الأشياء ويتخير أكثر الأوضاع تمثيلا لها ، ثم يجمعها فى إطار أو حيز واحد .

الجمع بين الأمكنة والازمنة المختلفة فى حيز واحد

ومن اتجاهات الطفل أيضاً أنه لا يتقيد بالأمكنة والأزمنة التى توجد عليها الأشياء . إنه يعبر كما لو كان يعرض علينا شريطًا مصوراً للحوادث بصرف النظر عن أمكنتها وأزمنتها . فمثلا عندما يعبر عن معركة حربية ، نجد أن تعبيره يشمل خطوات المعركة من البداية إلى النهاية دون التقيد بأمكنة الحوادث وأزمنتها المختلفة . ففى ركن من الورقة نجد رسومًا تحدثنا عن كيفية تدريب الجنود قبل الرحيل . وإلى جوارها رسومًا أخرى تحدثنا عن سفر الجنود بمعداتهم المختلفة . وإلى جوارها رسومًا ثالثة تحدثنا عن المعركة وكيف كانت حامية الوطيس . وإلى جوارها رسومًا رابعة وخامسة وسادسة . وكل منها تحدثنا إما عن انتهاء المعركة وكثرة الضحايا . أو استعداد الجنود للعودة وهم فى نشاط تغمره النشوة بالنصر . وكل هذه المشاهد من الناحية المرئية لا يمكن أن تحدث فى مكان أو زمان واحد . بل فى أمكنة وأزمنة مختلفة ولكن على الرغم من هذا يسجلها الطفل ويعبر عنها فى حيز واحد . والطفل إذ يفعل هذا . إنما يريد أن يحدثنا عن المعركة وخطواتها وسيرها ليؤكد الجوانب المعرفية بدلا من الجوانب المرئية . انظر شكل (٢١) .

خط الأرض

وإذا كان هناك اتجاه أخير يمكن أن نشير إليه فهو خط الأرض . ومظهر هذا الاتجاه ينحصر فى أن الطفل عندما يعبر عن بعض مشاهد بيئته يرسم خطًا أفقيًا عند نهاية كل عنصر يعبر عنه موضحًا الأرض التى يرتكز عليها . فإذا كان هذا المشهد سوق القرية أو المدينة مثلا . عبر عن الأشخاص والحيوانات والأشجار . وفى نهاية كل عنصر منها خط أفقى يمثل الأرض التى يقف أو يسير عليها .

ويرجع بعض الباحثين سبب ظهور خط الأرض على هيئات أفقية دائمًا . بينما العناصر التى ترتكز عليه دائمًا فى هيئات رأسية أو عمودية بالنسبة له . إلى الخبرات الحسية التى اكتسبها الطفل من وضعه الأفقى وهو مستلق على سريره ومن وضعه الرأسى وهو مستيقظ بعد النوم . فإدراك الطفل للعلاقة بين الوضعين الأفقى والرأسى — جعله يمثل الأرض بخطوط أفقية . والعناصر التى ترتكز عليها فى هيئات رأسية أو عمودية بالنسبة لها . وعلى كل فاستخدام الطفل لخط الأرض دليل على أنه يعتمد فى تعبيره الفنى على الحقائق الذهنية بدلا من الحقائق المرئية وإلا كان تعبيره عن الأرض يتمثل فى مساحات تتحرك عليها العناصر بدلا من خطوط ترتكز عليها كما يصر الطفل على أن تكون كذلك . انظر شكل (٢٢) .

واجب المدرس

هذه هى أهم الاتجاهات أو الخصائص التى نلاحظها على طفل هذه المرحلة ونقول إنها خصائص أو اتجاهات لأن القدامى كانوا يسمونها « بالأخطاء الشائعة فى رسوم الأطفال » . والفرق بين التسميتين فرق بين

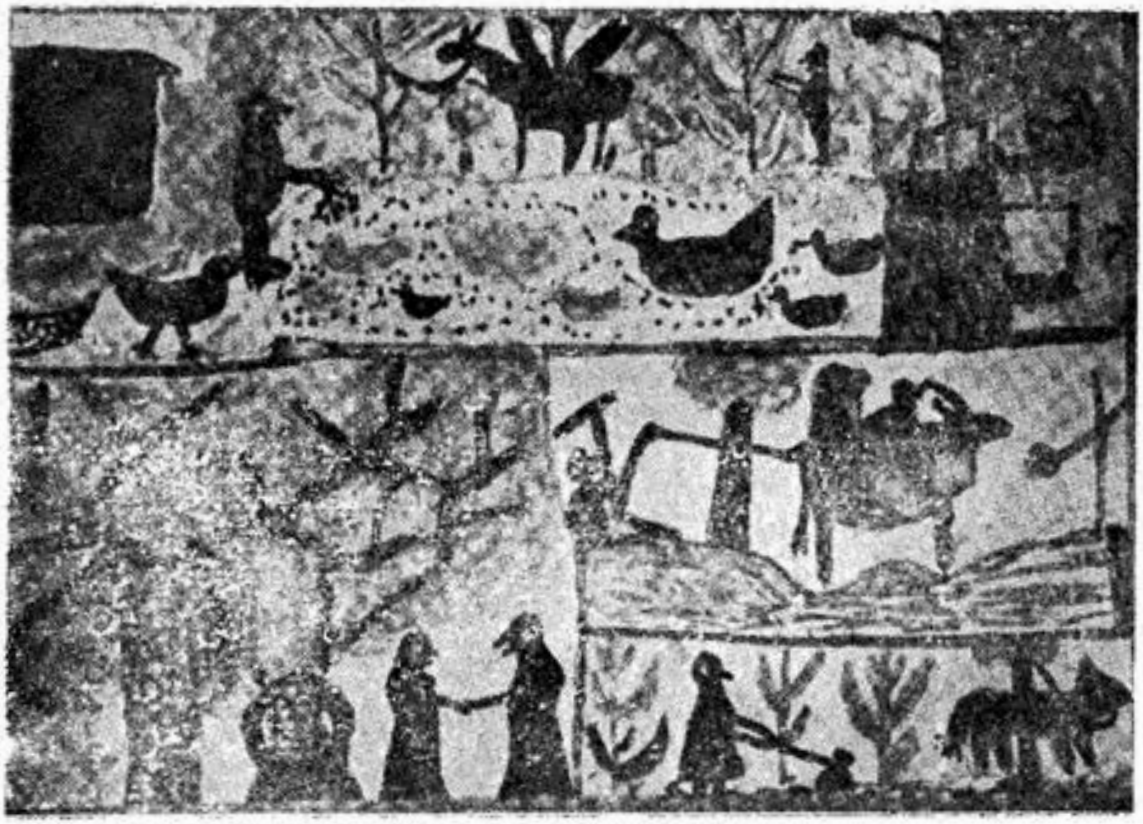

شكل (٢١) « يوم الفلاح » السن ٨ سنوات . يعبر الطفل فى هذه الصورة عن يوم الفلاح . ويوضح فى ركن منها الفلاح وهو يطعم الطيور ، وفى ركن آخر الفلاح وهو يعمل فى الحقل ، وفى ركن ثالث ، أثناء عودته إلى المنزل . والطفل إذ يفعل هذا ، يجمع بين الأمكنة والأزمنة المختلفة فى حيز واحد .

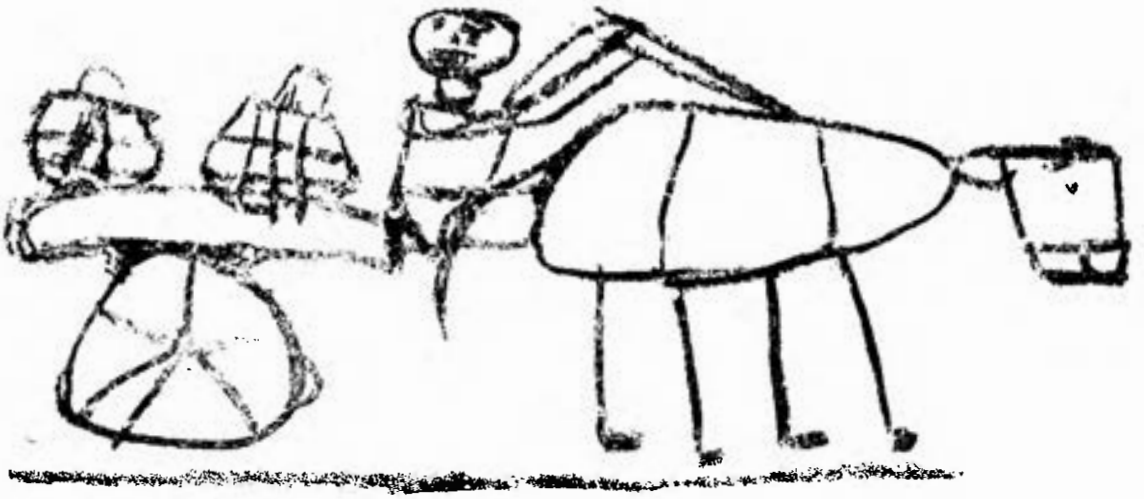

شكل (٢٢) « العربة الكارو » السن ٧ سنوات . توضح هذه الصورة اتجاه الطفل نحو التعبير عن خط الأرض الذى تسير عليه العربة . وهذا دليل على أن الطفل لا يعتمد على الحقائق البصرية بقدر ما يعتمد على الحقائق الذهنية أو المعرفية .

اتجاهين متضادين عند التعلم . فالتسمية الأولى تحمل فى معناها احتراماً للطفل واحتراماً لاتجاهاته فى التعبير . لأنها تؤمن ، بل لأن التجارب العلمية قد أثبتت أن كل خبرة لاتحترم فيها طبيعة الطفل لاخير فيها . بينما كل خبرة تحترم فيها طبيعة الطفل . خبرة تعليمية حقيقية .

أما التسمية الثانية فتحمل فى معناها هدماً للطفل ولاتجاهاته فى التعبير . لأنها تنظر إليه بنظرة الكبار البالغين . وعلى ذلك كانت رسوم الأطفال مليئة بالأخطاء . وواجب المدرس أن يصلح من هذا الخطأ . أى يجعل الطفل يعبر كما يعبر الكبار . وهذا هو الخطأ الأكبر . بل هو الضرر الذى يهدم الطفل وأسلوبه الفنى .

لهذا كان من الواجب على المدرس أن يحترم الطفل واتجاهاته . وذلك بتخير الموضوعات المناسبة التى تساعده على إشباع المظاهر المختلفة من تسطيح أو شفوف أو مبالغة أو تكرار أو غير ذلك من اتجاهات أخرى . لأن فى هذا الإشباع ضمان لنمو الطفل فى أن يسير سيراً طبيعياً .

هذا من جهة . ومن جهة أخرى أن أعمال الأطفال عندما تظهر عليها بعض الخصائص كالتسطيح أو الشفوف أو المبالغة ، لا غبار عليها من الناحية الفنية ، إلا إذا كنا نعتقد أن اتجاهات الكبار أفضل منها . وهذا غير الحقيقة . لأن قيمة الأعمال الفنية لا تقاس بنوع اتجاهاتها . بقدر ما تقاس بمدى ما تحمله من علاقات فى اللون أو الشكل أو التكوين العام للعناصر . هذا فضلا عن أننا نجد كثيراً من فنون الكبار . كالفن المصرى القديم . والهندى ، والفارسى . وبعض الفنون المعاصرة . قد تمثلت فيها اتجاهات الأطفال عند التعبير . وبدهى إن دل هذا على شىء . فإنما يدل على أن اتجاهات الطفل لا غبار عليها من الناحية الفنية وأصبح من الواجب على المدرس أن يحترمها .

ومن واجبه أيضاً — خاصة وأن اتجاهات الطفل فى التعبير جزء من طبيعته — أن يدرك السبب الحقيقى الذى يستتر وراء امتناع بعض الأطفال عن التعبير الفنى كما يحدث أحياناً عندما يطلب المدرس من تلاميذه التعبير عن موضوع ما فيمتنع بعضهم بحجة عدم قدرتهم على التعبير . فهذا السبب من جانب الأطفال لا أساس له من الصحة لأننا لا نمتنع عن تأدية الأعمال التى تصدر بناء عن وحى من طبيعتنا . إلا إذا شعرنا بقوة خارجية تتدخل فى أعمالنا وتفرض علينا مقاييس وقيماً غير المألوفة لدينا ، فحينئذ نشعر بالعجز ولا يكون أمامنا سوى أن نبرر موقفنا بعدم القدرة على العمل . وهذا هو مايحدث تماماً فى حالة امتناع الأطفال الصغار عن تأدية أعمالهم الفنية . فالطفل لا يمتنع عنها إلا إذا كان هناك تدخل سافر فى أسلوبه وطريقته . فإنه يشعر بالعجز . حينئذ لا يجد أمامه إلا أن يبرر موقفه بعدم القدرة على التعبير .

وقد أتيحت لى الفرصة أن ألمس هذه الحقيقة ممثلة فى صورة واقعية حدثت بين والد وابنه الصغير . ففى وقت ما حضر لزيارتى أحد الأقارب وبصحبته طفله الذى لم يتجاوز الثامنة من عمره . وفى أثناء جلستنا أبصر الطفل

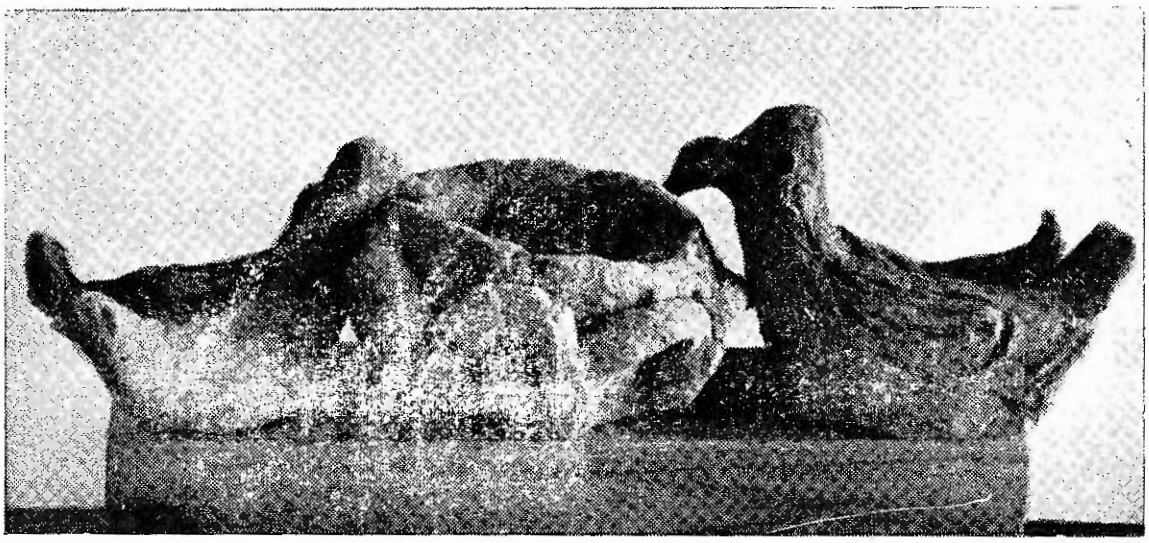

شكل (٢٣) « الطيور عند تناول الطعام » السن ٦ سنوات . لقد عبر الطفل عن الطيور وهى تأكل فى أسلوب كله حرية وطلاقة ، وذلك بفضل استخدامه لخمة الصلصال التى تتناسب مع هذه السن .

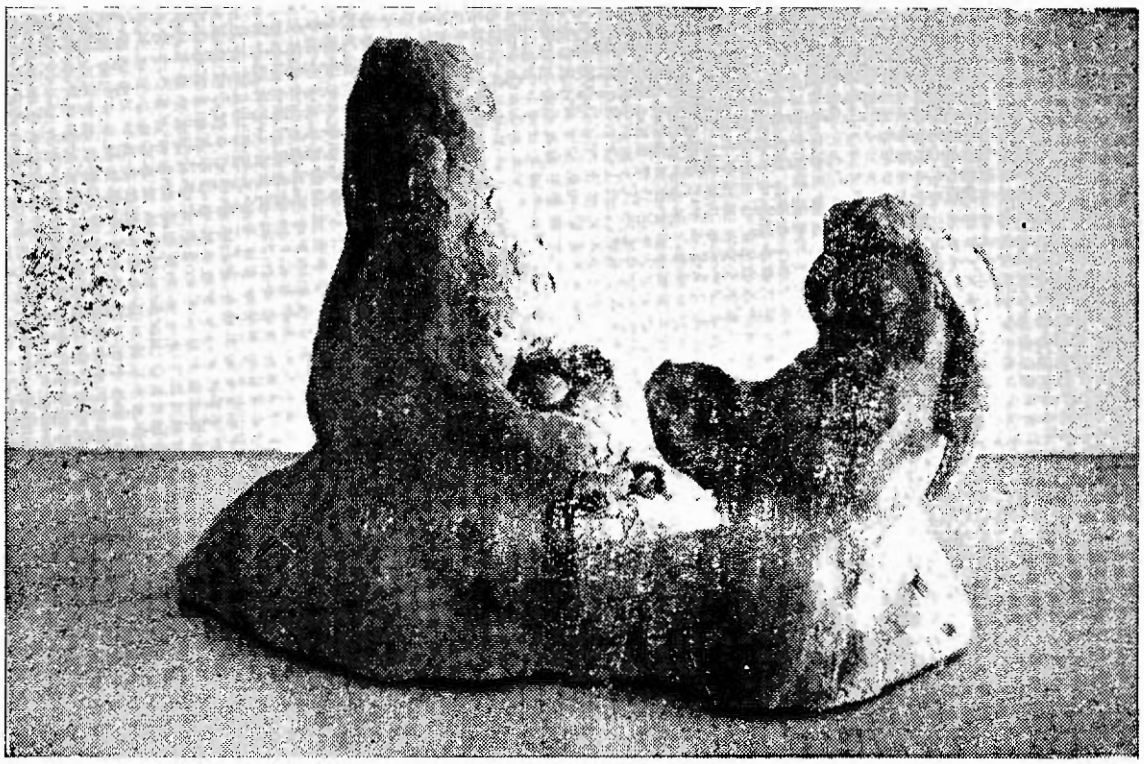

شكل (٢٤) «فرن الخبيز» السن ٧ سنوات . وهذا موضوع آخر قد عبر عنه الطفل مستخدماً خامة الصلصال فى حرية تامة – فجاء الشكل متماسك الأجزاء فى وحدة مترابطة .

شكل (٢٥) « العودة من الحقل » السن ٧ سنوات . من اتجاهات الطفل فى هذه السن صفة البناء والتركيب . و بما أن خامة الصلصال سهلة التشكيل فهى من الوسائل التى تساعد على تحقيق هذا الاتجاه كما هو واضح فى هذه الصورة حيث ظهرت الأجزاء مركبة فى بناء فنى جميل .

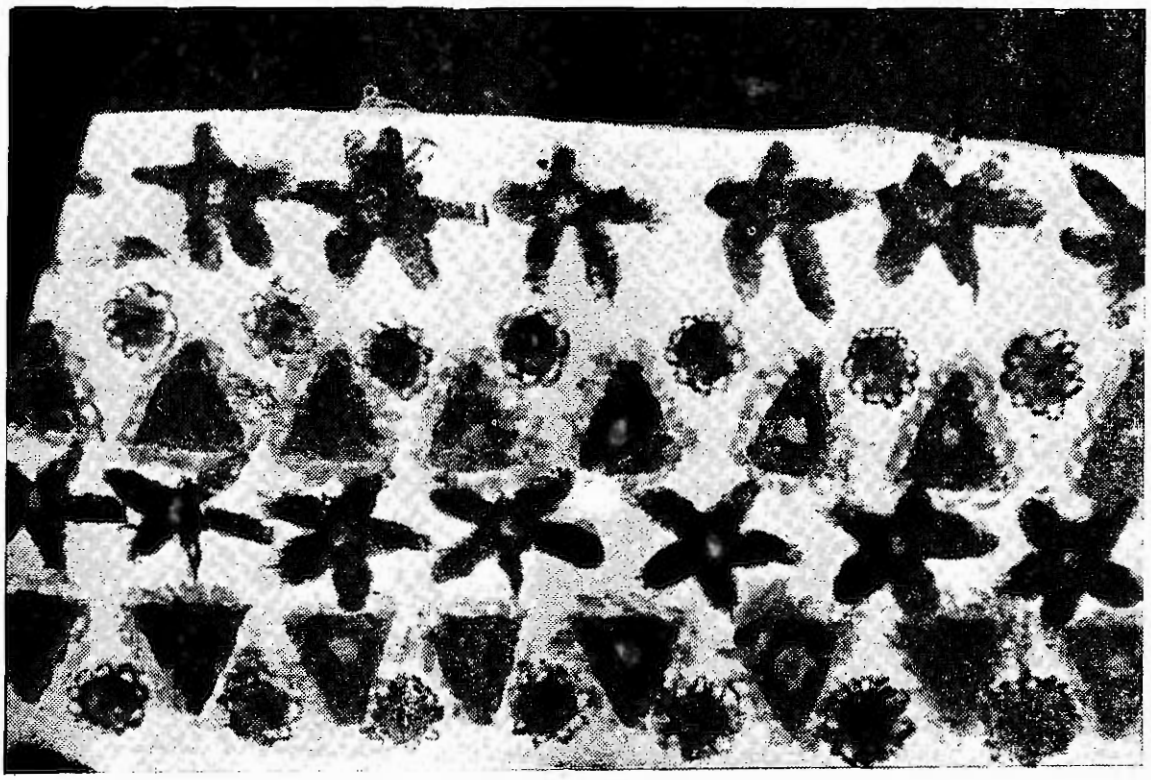

شكل (٢٦) « مفرش السن » ٧ سنوات . من الخبرات الفنية التى تستهوى الأطفال فى هذه السن الطباعة على الأقمشة أو على الأوراق . فى هذه الصورة نلاحظ كيف استخدم الطفل بنجح قطعاً من البطاطس بعد تشكيلها لزخرفة قطعة من القماش مع استخدام الأصباغ الملونة .

شكل (٢٧) ساتر (ستارة) السن ٧ سنوات . وهذه قطعة أخرى من القماش نجح الطفل فى زخرفتها بطريقة الطبع مستخدماً القوالب الخشبية و بعض الأصباغ والألوان المناسبة فجاءت جميلة فى تعبيرها مرتبة فى عناصرها .

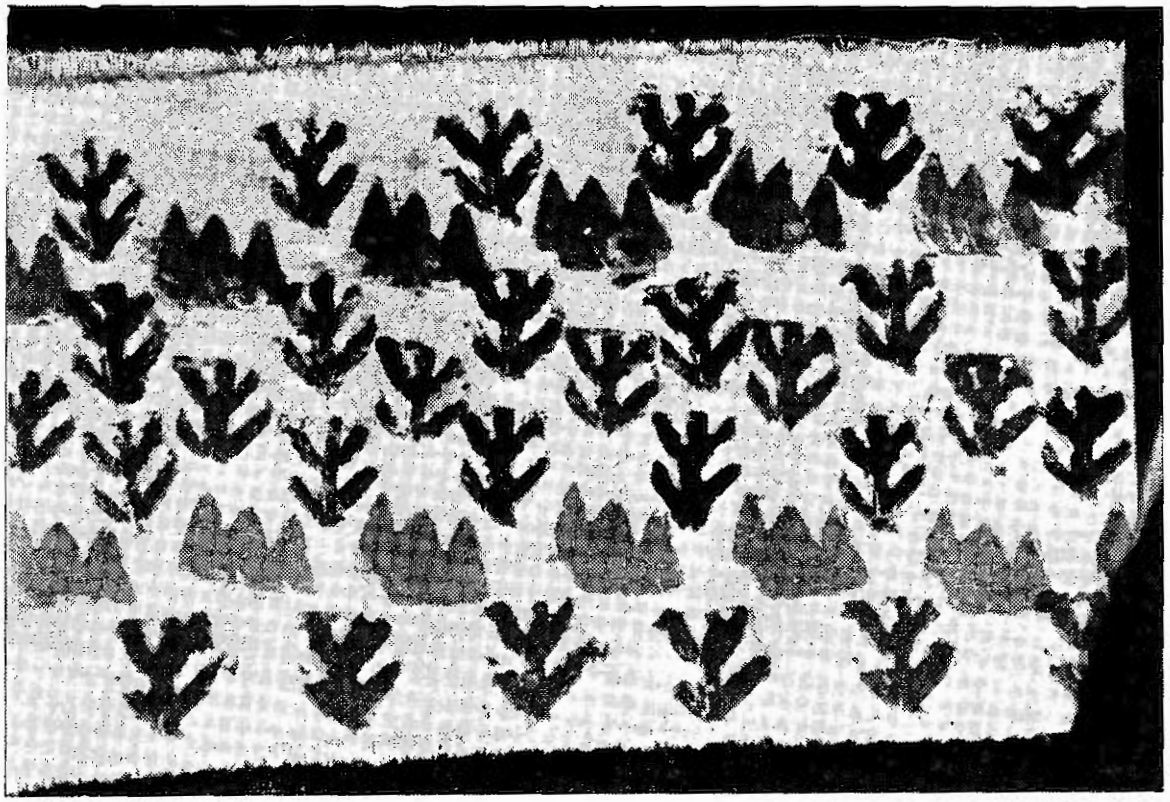

شكل (٢٨) « منديل » السن ٨ سنوات . وهذه قطعة ثالثة من القماش على هيئة منديل نجح الطفل فى زخرفتها بطريقة الاستنسل « أى تفريغ الورق ومحاولة الطبع به على القماش » .

على المنضدة بعض الأوراق البيضاء . فاندفع من نفسه يخطط عليها ببعض الخطوط . فما كان منى إلا أن انتهزت هذه الفرصة وطلبت منه أن يرسم صورة « بابا » فاندفع نحو تلبية الطلب بحماسة ظاهرة . وفى الوقت نفسه اندفع الوالد نحو انتظار النتيجة بشغف ملموس . وعندما انتهى الطفل من الرسم سارع الوالد والتقط الورقة من يد الطفل وأخذ ينظر إليها . ولكنه لم يجد فيها ما يشبع نظرته وتفكيره الخاص . فأخذ ينهر الطفل وينعته بعدم القدرة على الرسم . ولم يكتف بهذا ، بل تناول القلم وأخذ يرشد الطفل إلى كيفية رسم الأشخاص . وعندما انتهى مما كان عليه ، طلب من الطفل أن يرسم « بابا » مرة ثانية . ولكن الذى حدث أن الطفل قد امتنع ثم ترك الحجرة إلى أن ناداه والده عند الانصراف .

إن ما نتعلمه من هذه القصة ليس فى حاجة إلى بيان ، فالملاحظ أن الطفل فى بادئ الأمر كان مدفوعاً نحو التعبير وهو مطمئن غير متردد فيه . ولكن حالته هذه قد تبدلت عندما تدخل والده تدخلا مباشراً فى أسلوبه وطريقته فكانت النتيجة أن اعتذر الطفل عن العمل ، وامتنع عن تأديته كلية . ومن هذا نفهم أن الأطفال الصغار عندما يمتنعون عن تأدية التعبير الفنى . إنما يفعلون ذلك نتيجة لتدخل الكبار فى أسلوبهم ، لأن الطفل لا يهاب التعبير الفنى ما دام صادراً عن وحى من طبيعته .

ملخص عام للمرحلة

المرحلة	اتجاهاتها	التعبير عن الأشخاص	التعبير عن القريب والبعيد	استخدام اللون	موقف المربى
	(١) إدراك العالم الخارجى عن طريق رسوم خاصة بكل طفل	(١) رسوم خاصة بكل طفل للتعبير عن الأشخاص	(١) إدراك العلاقة بين العالم الخارجى والعالم الداخلى والصلة بينهما .	(١) إدراك معنى اللون وعلاقته بالبيئة الخارجية	(١) احترام أسلوب الطفل وطريقته فى التعبير
	(٢) تكرار مستمر فى الرسوم بقصد الاستمتاع النفسى	(٢) تكرار مستمر فى الرسوم الخاصة	(٢) استخدام خط الأرض للتعبير عن هذه الصلة وعن الإحساس بالقريب والبعيد من الأشياء .	(٢) الاستمرار فى استخدام ألوان معينة لعناصر معينة	(٢) الاعتراف بالاتجاهات التى يلجأ إليها الطفل واعتبارها خصائص والعمل على إشباعها
مرحلة المدرك الشكلى وتبدأ من ٧ إلى ٩ سنوات تقريباً	(٣) تغير فى الرسوم الخاصة تبعاً للانفعالات ولكن فى حدود الرسوم الخاصة	(٣) تغير فى الرسوم الخاصة تبعاً للانفعالات المختلفة — المبالغة فى الأجزاء التى لها قيمة أثناء التعبير ، وحذف الأجزاء التى ليس لها قيمة .		(٣) تغير فى استخدام الألوان المعينة الخاصة تبعاً للانفعالات المختلفة	(٣) استخدام الموضوعات التى تغلب عليها الناحية الحسية وخاصة ذات الطابع الجماعى كلعب الكرة أو الكشافة إلخ .

			(٤) الاعتماد على الحقائق الذهنية أو المعرفية عند التعبير (٥) ظهور بعض اتجاهات معينة كالتسطح ، والشفوف والجمع بين المسطحات المختلفة . والجمع بين الأزمنة والأمكنة المختلفة . (٦) استخدام الخطوط شبه الهندسية فى الرسوم	(٤) استخدام اللون من الناحية الذاتية	(٤) استخدام الموضوعات الغنية بالمشاهد الكثيرة كالأفلام والقصص المسلسلة (٥) استخدام الموضوعات التى من شأنها أن تحقق للطفل إشباع الاتجاهات المختلفة كالتسطيح ، والشفوف ، والمبالغة ، والجمع بين المسطحات المختلفة والجمع بين الأزمنة والأمكنة المختلفة وخط الأرض (٦) تخير الخامات المناسبة

تدريبات لدراسة فن الطفل فى هذه المرحلة

١ — اجمع عدة رسوم من تلاميذ الصف الثانى أو الثالث الابتدائى ، ثم حاول أن تبين الاستخدامات المختلفة لطريقة التعبير عن كل من العين . والفم والأنف والجسم والأرجل واليدين . إلخ . .

٢ — اجمع رسوم طفل واحد موضحاً ما يلى :

(ا) التكرار فى الرسوم .

(ب) الاختلافات التى تظهر على المدركات أو الموجزات الشكلية .

٣ — وضح مظاهر التغيرات التى تحدث على المدركات أو الموجزات الشكلية وذلك برسوم مختلفة .

٤ — ما هى النسبة بين أطفال الصف الثانى ممن يستخدمون الخطوط شبه الهندسية فى تعبيراتهم ؟ وازن بينها وبين الأطفال فى الصف الثالث .

٥ — ما هى النسبة بين أطفال صف واحد ممن يستخدمون خط الأرض فى تعبيراتهم ؟

٦ — اجمع عدة رسوم توضح اتجاه الأطفال نحو الجمع بين الأزمنة والأمكنة المختلفة فى حيز واحد .

٧ — وضح بالرسوم معنى التسطيح .

٨ — اجمع عدة رسوم لطفل واحد ، ثم بين إلى أى مدى يستخدم الطفل لوناً واحداً لعنصر واحد . وفى حالة عدم إقبال الطفل على هذا الاتجاه حاول أن تتعرف على الأسباب .

٩ — حاول أن توضح معنى المدرك أو الموجز الشكلى فى التعبيرات المجسمة للأطفال .

شكل (٢٩) « الرجل » السن ٨ سنوات . هذا مثل يوضح لنا اختلاف المدركات الشكلية بين الأطفال ذوى العمر الزمنى الواحد . فنلاحظ الأختلاف الواضح فى التعبير عن الرجل ، فلكل طفل تعبير خاص به .

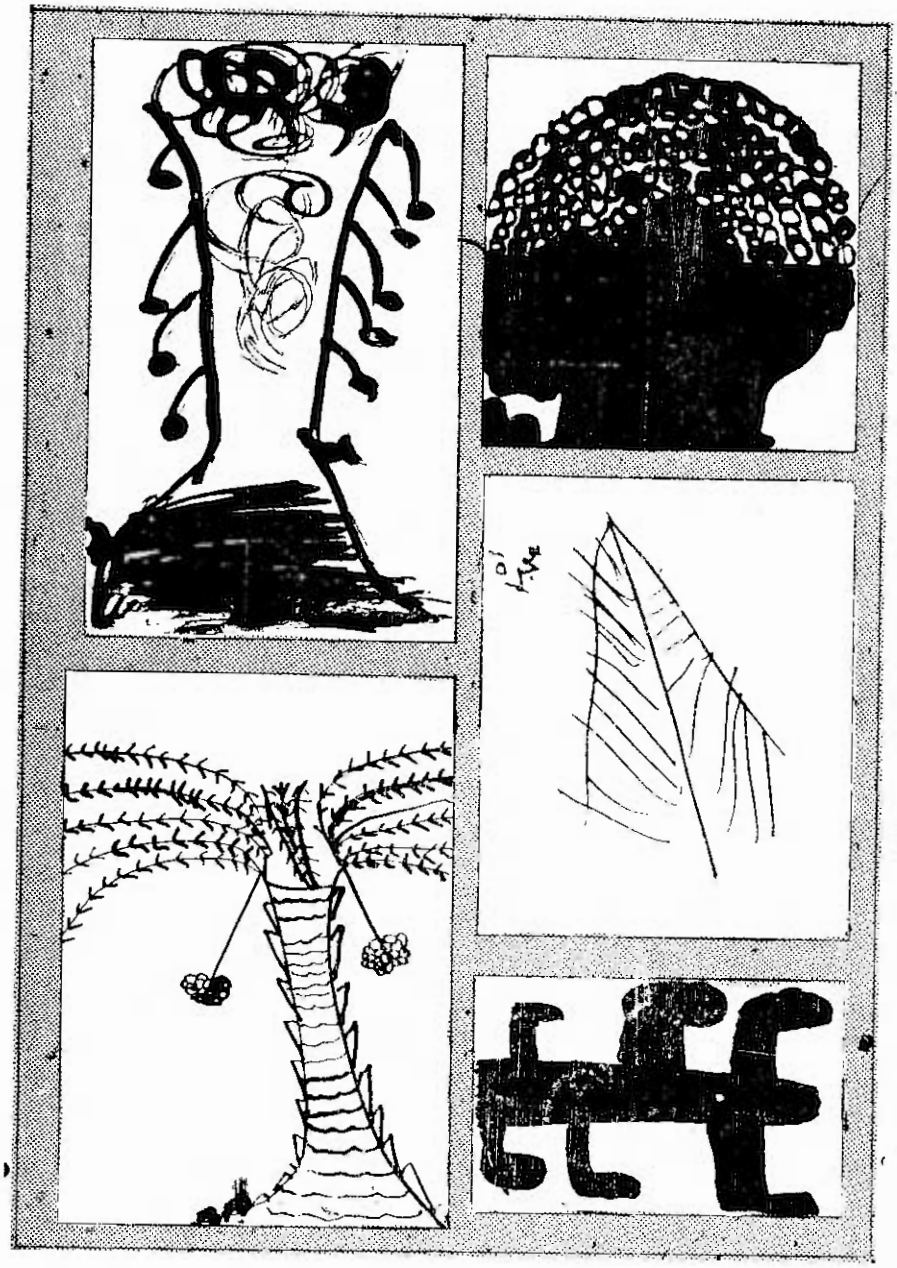

شكل (٣٠) « الشجرة » السن ٨ سنوات . من هذه الصورة نلمس بوضوح إلى أى مدى يختلف المدرك الشكلى من طفل إلى آخر . فجميع هذه الرسوم تعبر عن الشجرة ولكنها تختلف فى هيئة التعبير نفسه .

شكل (٣١) « الأسد » السن ٨ سنوات . هذا مثال يوضح لنا كيف أن المدرك أو الموجز الشكلى يختلف من طفل إلى آخر . فى هذه الصورة نلاحظ اختلاف الأطفال أصحاب العمر الزمنى الواحد فى التعبير عن الأسد . وإن دل هذا عن شىء ، فيدل على أن لكل طفل مدركاً شكلياً خاصاً به .

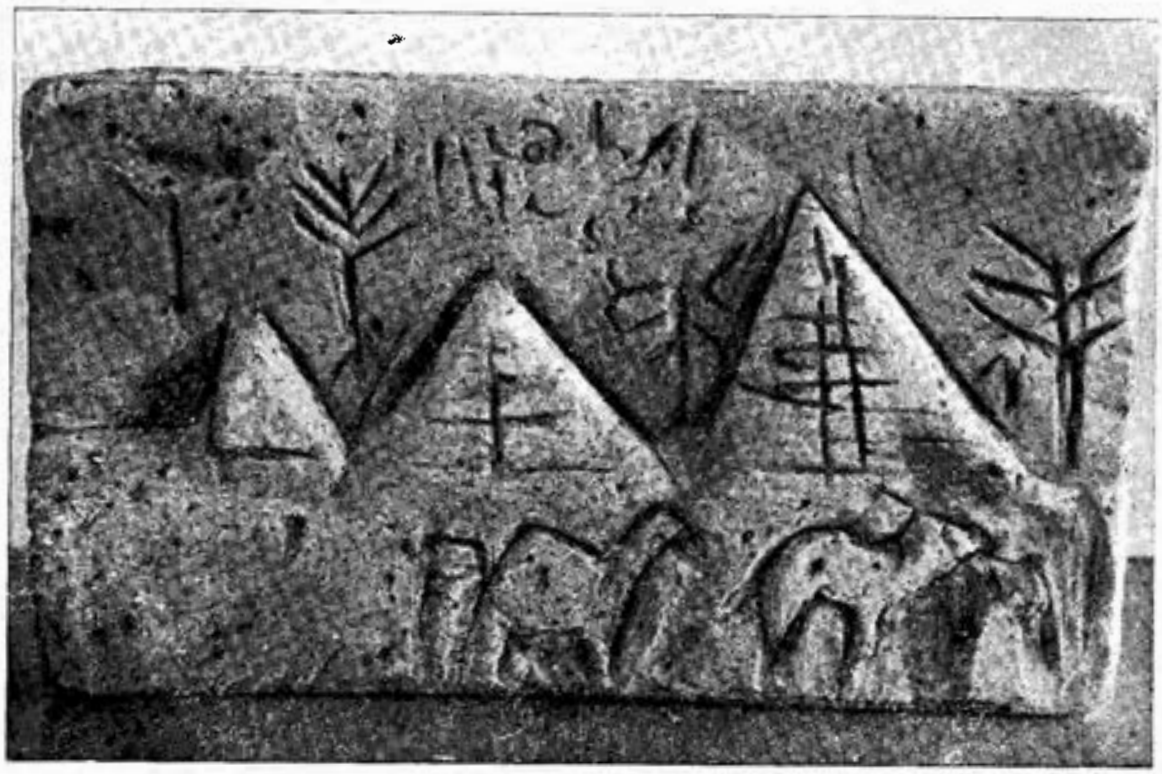

شكل (٣٢) « أهرامات الجيزة » السن ٨ سنوات . نلاحظ فى هذه القطعة كيف نجح الطفل فى التعبير عن أهرامات الجيزة بطريقة الحفر الغائر والبارز على لوح من الجص . وهذا أسلوب من أساليب التعبير المناسبة فى المرحلة الابتدائية وغيرها .

شكل (٣٣) « الأمومة » السن ٨ سنوات . وهذه قطعة أخرى من قطع الحفر الغائر والبارز على لوح من الجص ، حيث نلاحظ مدى نجاح الطفل فى التعبير عن الإحساس العميق بعاطفة الأمومة ممثلا فى الدجاجة وهى ترقد على بيضها .

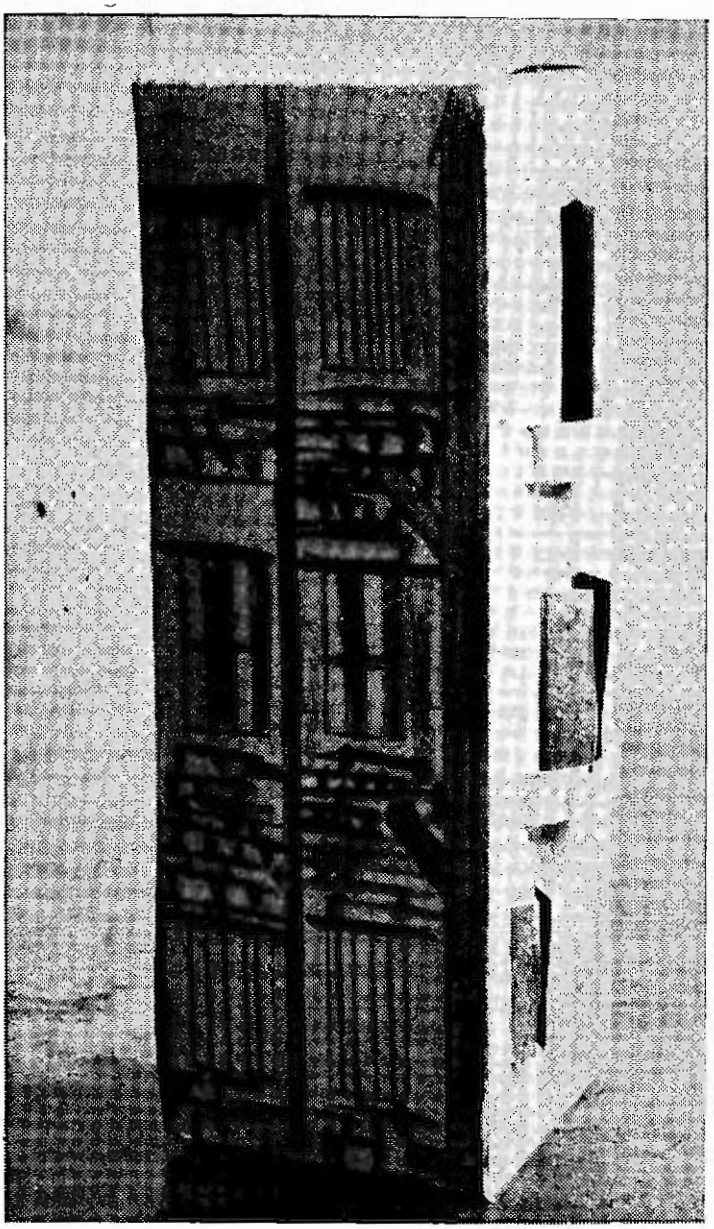

شكل (٣٤) « منزل » – السن ٨ سنوات . من الخامات المناسبة فى هذه السن التشكيل والتعبير بالورق ، كما نلاحظ فى هذه الصورة حيث عبر هذا الطفل عن منزل مستخدماً ورقاً سميكاً مع بعض الأصباغ المناسبة لتكملة الشكل .

مرحلة محاولة التعبير الواقعى

تبدأ من ٩ إلى ١١ سنة تقريباً

التحول من الاتجاه الذاتى إلى الاتجاه الموضوعى

يمكننا أن نعتبر هذه المرحلة من حياة الطفل بمثابة فترة انتقال يتحول فيها الطفل من الاتجاه الذاتى الذى يعتمد على الحقائق المعرفية أو الذهنية إلى الاتجاه الموضوعى الذى يعتمد على الحقائق المرئية أو البصرية . والسر فى هذا التحول يرجع أساساً ، إلى ما طرأ على الطفل من نمو شامل فى جميع نواحيه ، الأمر الذى جعله يشعر بفرديته وخاصة من ناحية الجنس . وطبيعى أن الشعور بالفردية ، معناه الشعور بفردية الآخرين ، بمعنى أن طفل هذه المرحلة بدأ يدرك البيئة ومظاهرها المختلفة إدراكاً موضوعياً . انظر شكل (٣٥) .

التمسك بالعلاقات والمظاهر المميزة للأشياء

وهذا ما قد حدث فعلا للطفل . فهو فى هذه المرحلة بدأ يعتمد فى تعبيره الفنى على الحقائق المرئية . واعتماده على هذا الاتجاه الجديد جعله يتحول عن التكرار فى الرسوم إلى التمسك بالمظاهر والعلامات المميزة للأشياء . فعندما يعبر عن إنسان مثلا ، نجده يبرز العلامات المميزة لهذا الإنسان . من نشاط وحيوية إذا كان شاباً ، أو من شعر أبيض أو عصا يتكئ عليها إذا كان كهلا . انظر شكل (٣٥) .

اختفاء بعض الاتجاهات السابقة

وليس الأمر مقصوراً على هذا الاتجاه . بل نلاحظ أيضاً أن كثيراً من المظاهر التى كان يلجأ إليها الطفل فى المراحل السابقة كالمبالغة والحذف والتسطيح والشفوف وخط الأرض ، بدأت تختفى تدريجياً ويحل مكانها ما توحى به الرؤية البصرية ، من مراعاة للنسب بين الأشياء ، أو إدراك للقريب والبعيد منها ، أو جعل بعض العناصر يحجب البعض الآخر ، أو استخدام اللون استخداماً موضوعياً . فتظهر السماء مثلا ، باللون الأزرق ، والأشجار باللون الأخضر ، أو كما تظهر عندما تقع عليها أشعة الشمس أو تغيب عنها . ومجمل القول أن الحقيقة المرئية هى الاتجاه الجديد الذى بدأ الطفل يعتمد عليه عند التعبير الفنى فى هذه المرحلة .

شكل (٣٥) « رصف الشارع » السن ١٢ سنة . تعبر هذه الصورة عن العمال وهم يرصفون الشارع . وإذا تأملناها نجد أن الطفل قد بدأ يعبر عن المنظور ، ويراعى النسب بين الأشياء ، كما تظهر فى (الوابور) والرجل الذى بداخله ، كذلك فى « المقاطف » التى يحملها العمال حيث تظهر فى نسبة تتفق مع نسبة الرجل . وهذا دليل على أن الطفل بدأ يعتمد على الحقائق البصرية فى التعبير .

شكل (٣٦) « رأس » السن ٩ سنوات . هذه قطعة من النحت تعبر عن رأس إنسان ، استخدم الطفل فيها حجر الخفاف (وهو نوع من الحجارة غير صلب يسهل التشكيل والنحت فيه) .

شكل (٣٧) « اللقاء » السن ١٠ سنوات . يلاحظ فى هذه القطعة مدى نجاح الطفل فى التعبير عن حرارة اللقاء حيث تتميز القطعة بكل القيم التى نراها فى أعمال النحت الرفيع من تماسك وتوازن وترابط .

شكل (٣٨) « الفتاة » السن ١١ سنة . هذه قطعة جيدة من أعمال الصلصال ، حيث تتميز بحسن التعبير واتزان الأجزاء ، كما نلاحظ فيها اتجاه الطفلة نحو المبالغة فى اليد التى تمسك السمة الصغيرة .

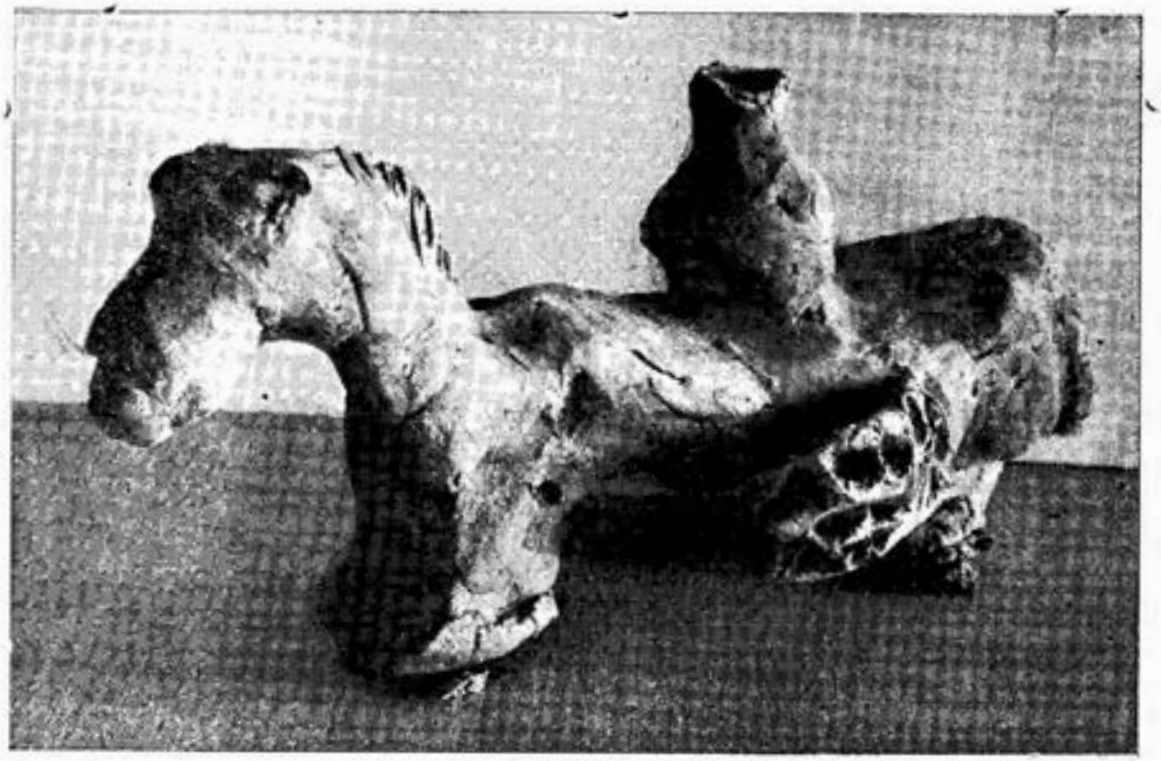

شكل (٣٩) « الذهاب إلى الحقل » السن ١١ سنة . هذه قطعة من أعمال الصلصال تم حرقها داخل الأفران الخاصة بحريق أعمال الفخار ، إذ من الواجب تدريب التلاميذ على عمليات الحريق حتى تتم لهم الخبرة الفنية من بدايتها حتى نهايتها .

واجب المدرس :

وبدهى إذا كان هذا هو اتجاه الطفل الآن ، فعلينا أن نحترمه ، ونزود الطفل فى الوقت نفسه بالإرشاد الذى يعينه على تذوق العلاقات الجمالية فى أعماله وفى الطبيعة ، بدلا من أن ينساق فى تيار التسجيل الحرفى الآلى . ويتأتى هذا بإبراز ما توحى به الحقيقة المرئية من علاقات جمالية عندما تظهر الاختلافات بين الألوان القريبة والألوان البعيدة مثلا ، أو عندما تظهر الاختلافات الموجودة بين أحجام الأشياء ونسبها بالنسبة لبعضها البعض . حينئذ يبدأ الطفل فى أن يتخذ من اتجاهه الجديد وسيلة لتذوق أعماله وما توحى به الرؤية البصرية من علاقات فنية بدلاً من أن يسيطر عليه الاتجاه نفسه فيصبح الطفل شبه آلة للتسجيل الحرفى .

وقد يكون من المناسب فى هذه المرحلة أيضاً ، أن يعمل المدرس على تنشيط الوعى الذاتى لدى الأطفال عن طريق الموضوعات التى تؤكد الفروق الفردية بين الناس وخاصة من ناحية الجنس . فيلجأ مثلا ، إلى الموضوعات التى تتصل بنشاط الرجولة ويقدمها إلى الأولاد ، وإلى الموضوعات التى تتصل بنشاط الأنوثة ويقدمها إلى البنات ، إلى جانب الموضوعات التى تعالج الأنانية بين الأطفال ، وتحض على التعاون بينهم كالأعمال الجماعية والمشروعات التى تتطلب تعاوناً وعملا مشتركاً من الجميع .

ملخص عام للمرحلة

المرحلة	اتجاهاتها	التعبير عن الأشخاص	التعبير عن القريب والبعيد	استخدام اللون	موقف المربى
مرحلة محاولة التعبير الواقعى وتبدأ من ٩ إلى ١٢ سنة تقريباً	(١) تحول عن تكرار الرسوم الخاصة (٢) شعور قوى بالفروق الفردية وخاصة من ناحية الجنس (٣) رغبة نحو تكوين شكل أو جماعات وخاصة من نفس الجنس (٤) اختفاء بعض الاتجاهات المعينة كالتسطيح والشفوف والمبالغة إلخ . . (٥) البدء فى التعبير وفقاً للحقائق البصرية	(١) اهتمام بالغ بالمظاهر المميزة للأشخاص (٢) تحول عن تكرار الرسوم التى تعبر عن الأشخاص (٣) محاولة الاعتماد على الحقائق المرئية . (٤) وعى ذاتى كامل وبالتالى وعى إلى حد ما بالعالم الخارجى والمظاهر المميزة له .	(١) تحول عن استخدام خط الأرض وبعض الاتجاهات الأخرى التى تعبر عن القريب والبعيد (٢) محاولة التعبير عن القريب والبعيد وفقاً للحقائق البصرية	(١) تحول عن استخدام اللون الخاص (٢) استخدام اللون وفقاً للحقيقة البصرية (٣) استخدام اللون أحياناً وفقاً للحقيقة الذاتية والانفعالات الخاصة	(١) تنشيط الوعى الذاتى للطفل عن طريق الموضوعات الغنية بالفروق الفردية والمميزات الخاصة ، ولا سيما من ناحية الجنس (٢) بث روح التعاون عن طريق الأعمال الجماعية والمشروعات (٣) تبصير الطفل بطبيعة الأعمال الفنية من حيث كونها تعبيراً عن الحقائق وليس تسجيلا لها

شكل (٤٠) « أمام المنزل » السن ١٢ سنة . هذه قطعة فنية استخدمت فيها التلميذة بعض الخيوط الملونة على قماش للتعبير عن المنزل الذى تسكن فيه . وهذا أسلوب يناسب البنات فى هذه السن .

شكل (٤١) « قطعة من النسيج » السن ١٢ سنة . من وسائل التعبير المناسبة فى هذه السن استخدام الإطارات الخشبية لعمل بعض قطع من النسيج البسيط . وهذه قطعة تعبر عن إحدى هذه المحاولات .

شكل (٤٢) « قطعة من النسيج » السن ١٢ سنة . هذه محاولة ثانية للعمل على الإطارات الخشبية بقصد نسج قطع من القماش . وقد نجحت التلميذة فى تصميم القطعة فى أثناء تأديتها .

شكل (٤٣) « قطعة من النسيج » السن ١٢ سنة . هذه محاولة ثالثة من قطع النسيج نجحت التلميذة فى إخراجها بواسطة الخيوط الملونة على الإطارات الخشبية البسيطة .

شكل (٤٤) « حديقة الحيوان » السن ١٢ سنة . نلاحظ فى هذه القطعة كيف استخدمت التلميذة بعض قطع القماش الملون بطريقة الخياطة (تطعيم القماش) للتعبير عن حديقة الحيوان . وهذا أسلوب مناسب للبنت فى تلك المرحلة .

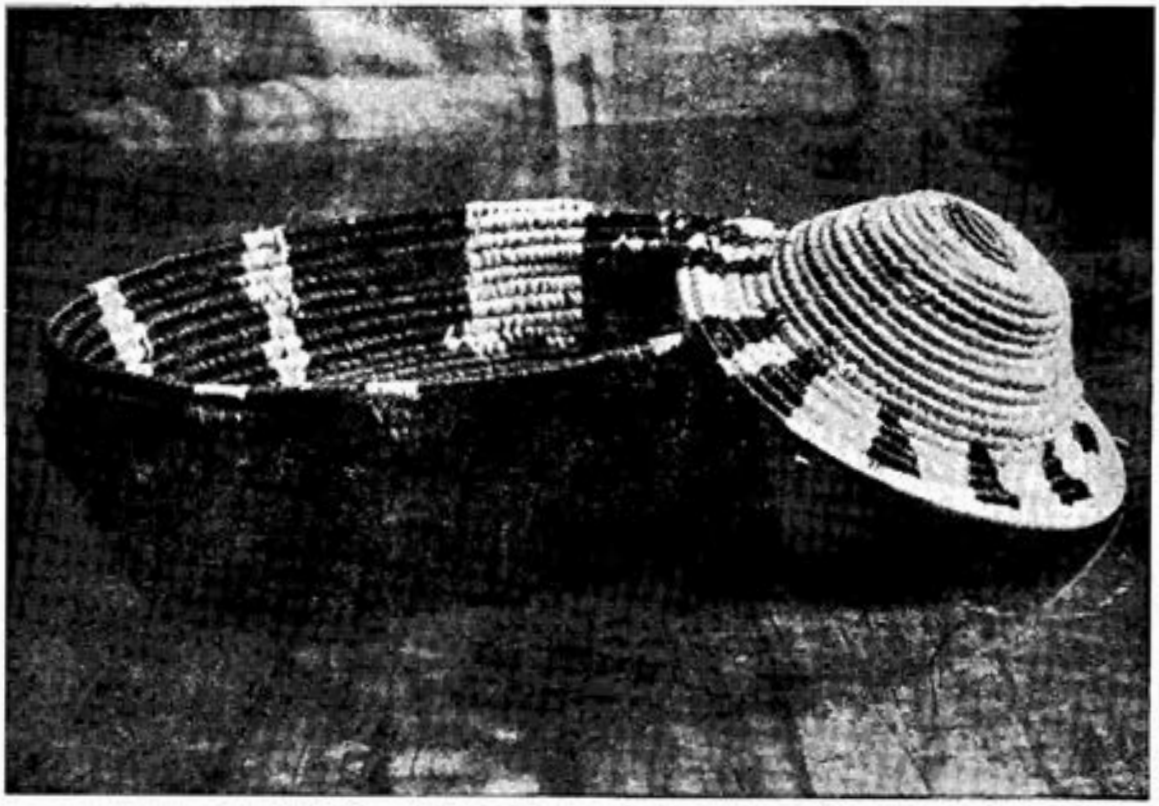

شكل (٤٥) « بعض السلال » السن ١٣ سنة . من الأعمال الفنية المحببة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية وخاصة الكبار منهم عمل السلال من قش الرافيا وغيره من الخامات المماثلة كالسعف وقش الحصير . وهذه الصورة توضح سلالا مصنوعة من قش الرافيا الملون .

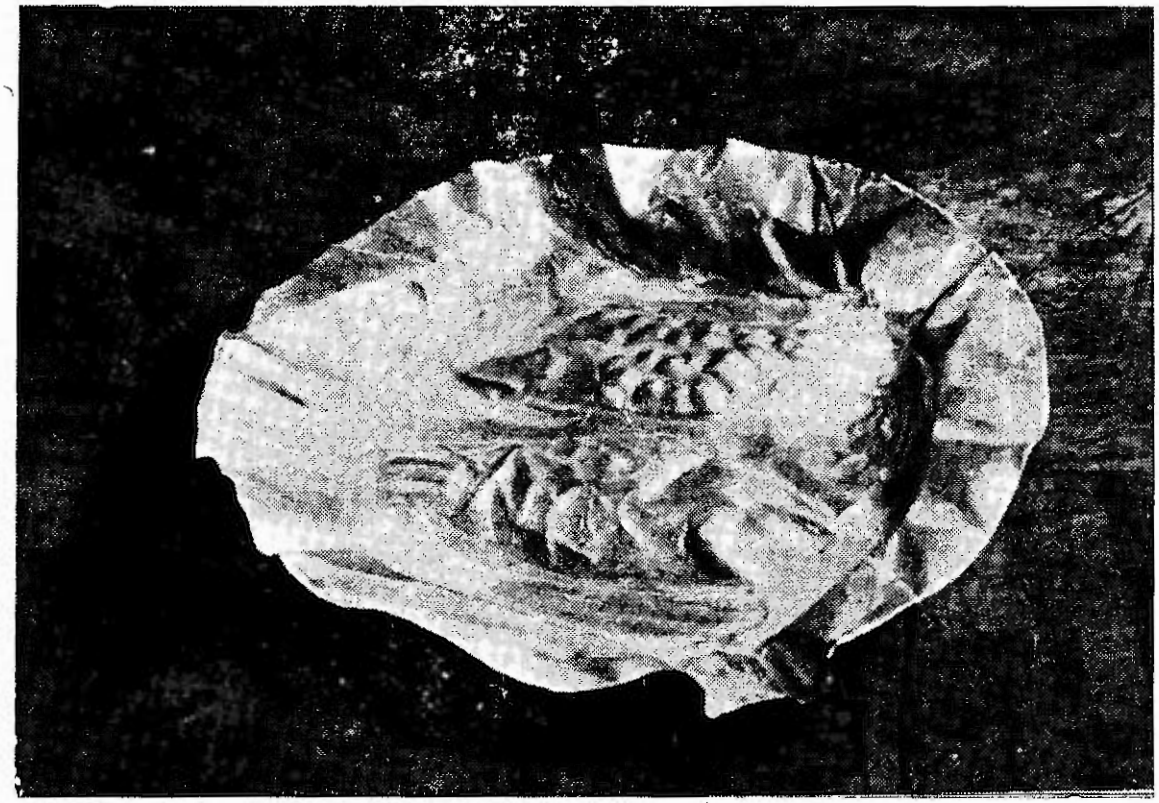

شكل (٤٦) ■ طبق من المعدن » السن ١٣ سنة . إن الرقائق المعدنية من الخامات التى يسهل على التلاميذ العمل بها فى هذه السن . والصورة الموضحة تمثل نوعاً من الإنتاج الفنى لرقائق النحاس الأصفر لطبق صغير .

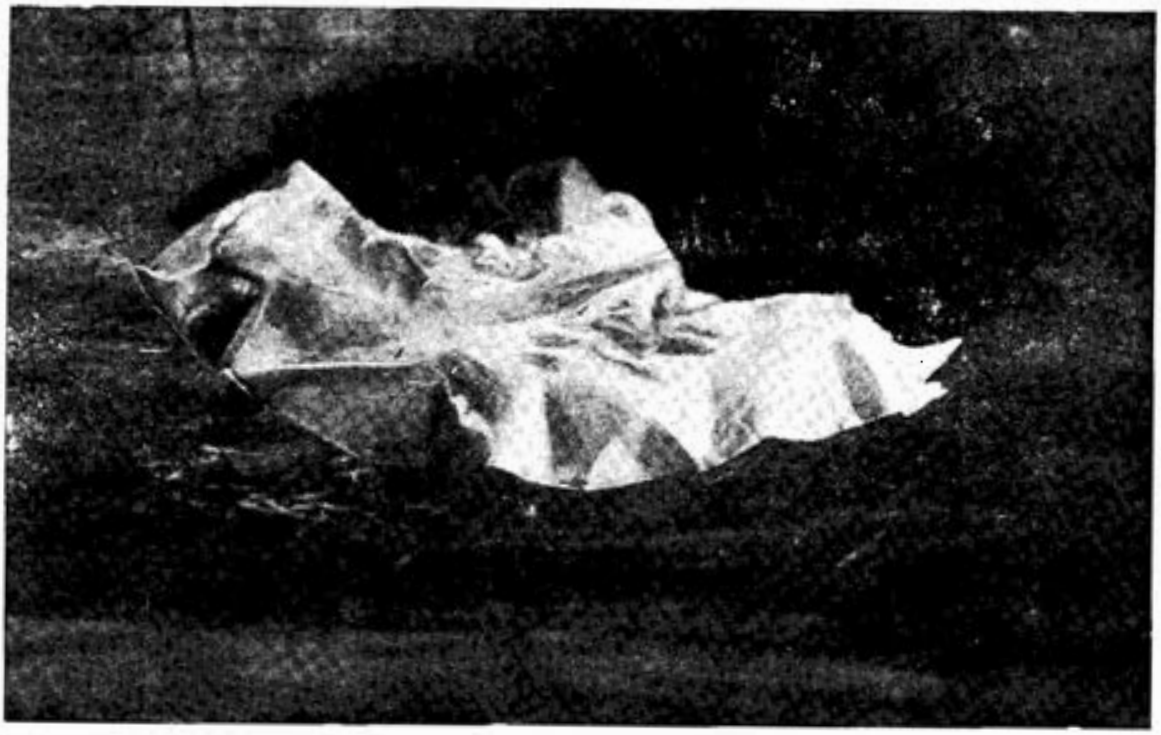

شكل (٤٧) « طبق من المعدن » السن ١٣ سنة . هذه الصورة تمثل نوعاً من الإنتاج الفنى لرقائق من النحاس الأحمر فى شكل طبق صغير .

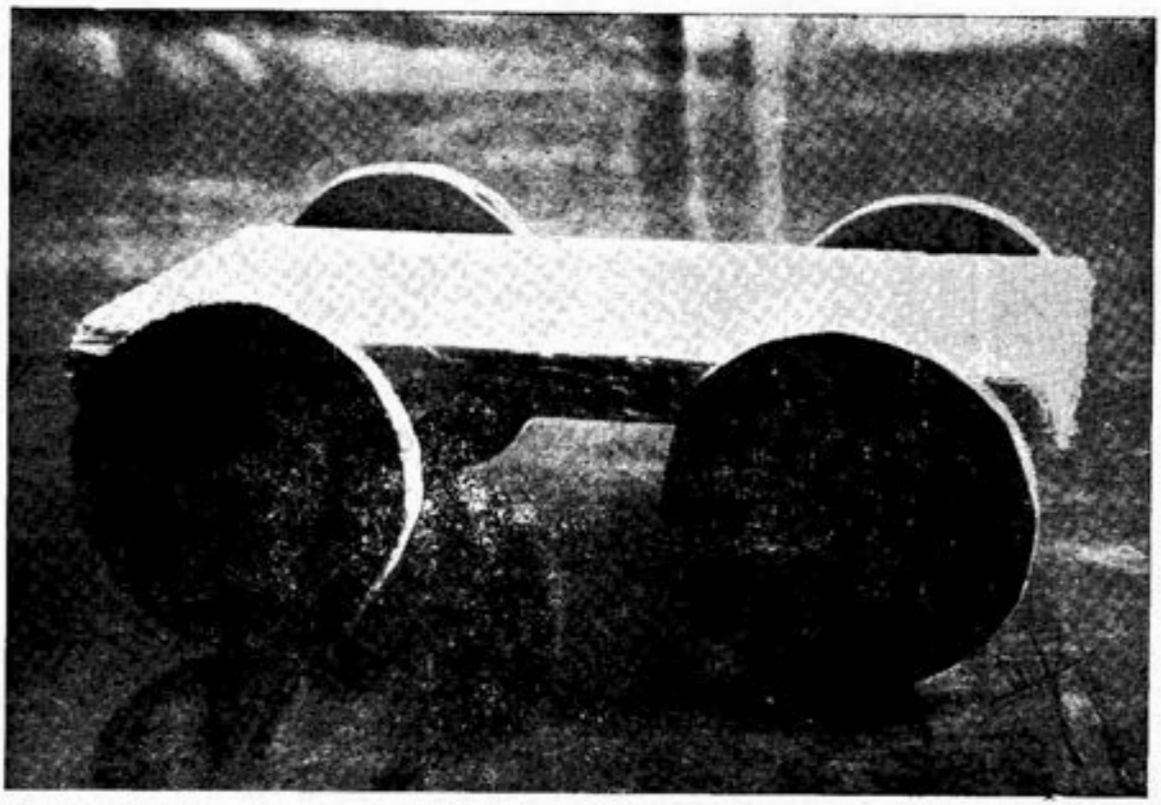

شكل (٤٨) « عربة من الخشب » السن ١٣ سنة . الخشب من الخامات التى تتفق مع استعدادات التلاميذ وميولهم فى هذه السن ، خاصة وهم مقبلون على فترة المراهقة ، لما يتميز به من صلابة تثير فى التلاميذ الرغبة فى العمل والتفكير المنظم مع استخدام قدراتهم العضلية وهذه الصورة توضح إحدى محاولات العمل بخامة الخشب حيث تمثل عربة صغيرة .

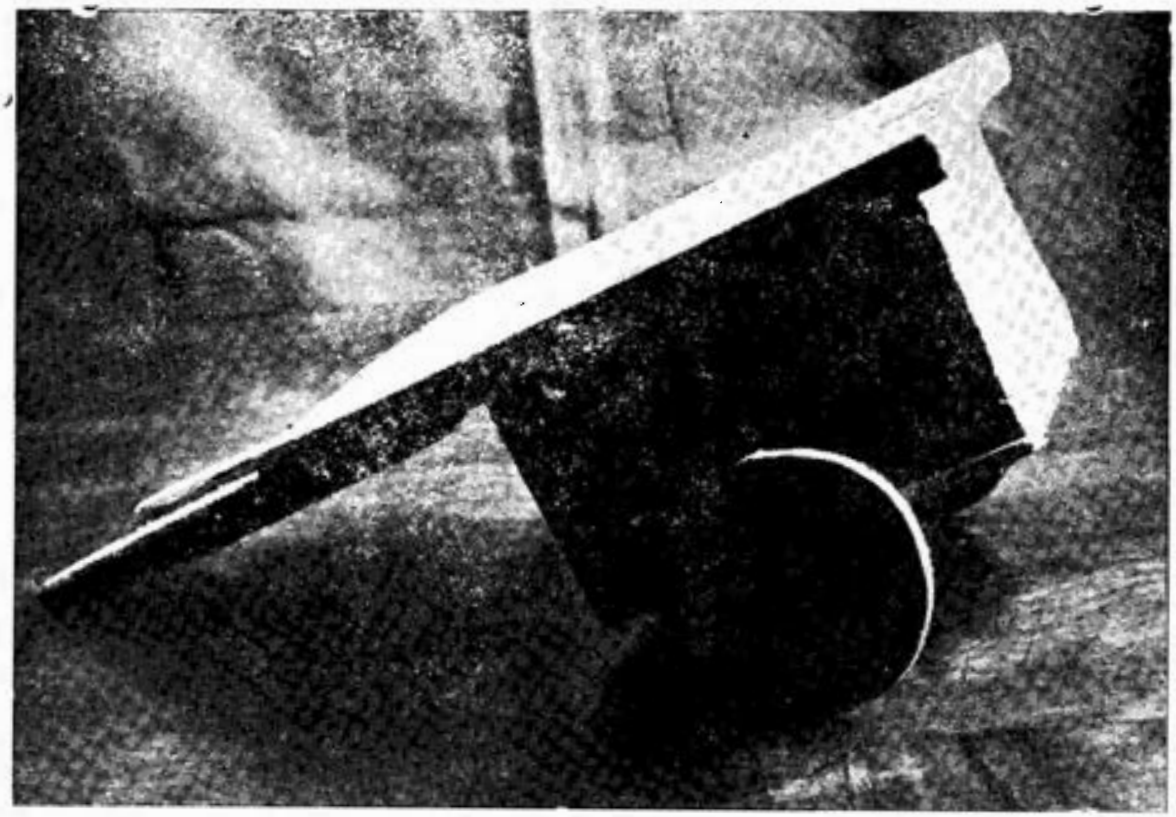

شكل (٤٩) « عربة من الخشب » السن ١٣ سنة .هذه الصورة تمثل محاولة ثانية للعمل بخامة الخشب ، حيث توضح كيف نجح التلميذ فى تصميم وإخراج عربة صغيرة .

تدريبات لدراسة فن الطفل فى هذه المرحلة

١ — اجمع رسومًا من الصف الرابع أو الخامس . ثم حاول أن تبين كم من الأطفال يلجأون إلى توضيح المظاهر المميزة للأشياء فى تعبيراتهم .

٢ — اجمع رسوم طفل واحد قام بها خلال نصف عام دراسى ، ثم حاول أن توضح خطوات تطور الطفل من استخدامه للخطوط شبه الهندسية إلى الخطوط شبه الواقعية .

٣ — وضح النسبة بين الأطفال الذين ما زالوا يستخدمون خط الأرض ، وبين هؤلاء ممن قد بدءوا فى الاعتماد على الحقيقة المرئية للتعبير عما نسميه المنظور .

٤ — حلل مظاهر التعبير عن القريب والبعيد . أو ما نسميه بالمنظور فى رسم واحد لأحد الأطفال وذلك من حيث . أولا : استخدام الطفل أو عدم استخدامه لخط الأرض . ثانياً : محاولة الطفل أو عدم محاولته لتغطية بعض العناصر للبعض الآخر . توضيح الطفل أو عدم توضيحه لخط الأفق — ما هى الحقائق التى يمكن أن تصل إليها من هذا التحليل بالنسبة لاستعداد الطفل واعتماده على الرؤية البصرية عند التعبير ؟

مرحلة التعبير الواقعى

تبدأ من ١١ إلى ١٣ سنة تقريباً

هذه هى الفترة التى يتحول فيها الطفل من حياة الطفولة إلى حياة الرجولة حيث تطرأ عليه عدة تغيرات شاملة فى جميع نواحيه العقلية والجسمانية والانفعالية والاجتماعية . الأمر الذى يجعله يشعر كأنه ولد ولادة جديدة .

وهذه التغيرات هى السبب الأول فى التحول النفسى والاجتماعى الذى يطرأ عليه فى هذه السن . ويكون لها أثر بالغ فى تعبيره الفنى .

قلة الإنتاج

فأول هذه الآثار قلة الإنتاج وعدم رغبته فى ممارسة الأعمال الفنية بالنسبة للمراحل السابقة . فبعد ما كان نشاطه الفنى يؤديه بحماسة وتلقائية . أصبح يؤديه الآن بشىء من الكلفة والفتور . وقد يكون لهذا عدة أسباب ، ولكن لا يعنينا التحدث عنها الآن إذ مجالها عندما نتناول موقف المدرس بالنسبة لهذه المرحلة . بقدر ما يعنينا أن نقرر أن تلميذ هذه المرحلة قليل الإنتاج وليس لديه الرغبة فى ممارسة النشاط الفنى إذا ما قورن باتجاهاته فى المراحل السابقة .

ظهور القدرات الخاصة عند التلاميذ

ولكن على الرغم من هذه الظاهرة نلاحظ أن فئة من التلاميذ يتابعون النشاط الفنى بحماسة ظاهر ورغبة أكيدة نحو التعلق به . وذلك راجع لما نعرفه من بدء ظهور بعض القدرات الخاصة فى هذه السن . فنستطيع أن نلمس بسهولة مَنْ من التلاميذ لديه استعداد فنى ممن لديه استعداد أدبى أو علمى أو رياضى . هذه هى الفترة التى تظهر فيها الفروق المميزة للتلاميذ . لهذا كان من الطبيعى أن نرى تلاميذ يتابعون النشاط الفنى أكثر من غيرهم فى هذه المرحلة .

الاتجاه البصرى

هذا عن الفرق بين درجة ميول التلاميذ ومدى استعدادهم الفنى . أما عن الفرق بين اتجاهاتهم عند التعبير فنلاحظ اتجاهين بارزين : أولهما ما نسميه بالاتجاه البصرى . والثانى ما نسميه بالاتجاه الذاتى .

وما يتميز به الاتجاه البصرى هو اعتماد التلميذ على الحقائق البصرية عند التعبير . فإذا ما شوهد وهو يعبر

عن مشهد فى الطبيعة مثلا . كان رائده مراعاة النسب بين الأشياء . فيوضح لنا القريب منها بحجم كبير ، بينما يبرز البعيد بحجم صغير . كذلك إذا كان هناك عنصر يتقدم عنصراً آخر ويحجب جزءاً منه وضح لنا هذه الصورة بجلاء . أما عن استخدامه للألوان ، فهو استخدام يتفق مع ما تراه العين من لون أزرق للسماء ، ولون أخضر للأشجار ، ولون أحمر أو أبيض للأزهار إذا كانت ترى على هذا النحو — إن تعبير التلميذ باختصار يخضع لما تمليه عليه الحقائق البصرية أو المرئية .

ويقال إن هذا الاتجاه ليس مقصوراً على نشاط التلميذ عند التعبير الفنى ، بل هو اتجاه عام يتمثل فى جميع أوجه نشاطه . بمعنى أن تلميذ هذه المرحلة لا يستطيع أن يدرك ما يحيط به إلا إذا كان منفصلا عنه ، مثله كمثل الشخص الذى ينظر إلى الحياة من نافذة أمامه ، إنه كما نقول عادة موضوعى النظرة أو الاتجاه . وبدهى إذا كان هذا هو الاتجاه العام للتلميذ فتأثيره عند التعبير الفنى أن يخضع للحقائق المرئية أو البصرية . انظر شكل (٥٠) .

الاتجاه الذاتى

أما عن الاتجاه الذاتى ، فتلميذ هذا النمط يعتمد على نظرته الشخصية وانفعالاته الخاصة . فإذا ما شوهد وهو يعبر عن مشهد فى الطبيعة مثلا ، ظهرت نسب الأشياء كما تتراءى له ، فقد يوضح لنا البعيد منها كبيراً فى حجمه بينما القريب فى حجم صغير . أو يبرز لنا لون السماء الزرقاء بلون أحمر أو لون أصفر ، لأنه يرى فى ذلك متعة شخصية أو انفعالا ذاتيًّا يود التحدث عنه . إنه ينظر إلى كل ما فى الميشهد من خلال ذاته . مثله كمثل الشخص الذى لا يستطيع أن يدرك ما يحيط به إلا إذا كان جزءاً منه . لهذا كان اتجاه التلميذ عند التعبير الفنى يعتمد أولا وقبل كل شىء على نظرته الخاصة .

هذان هما الاتجاهان البارزان عند طفل هذه المرحلة . فكما نلاحظ ، يسير كل منهما ، فى طريق غير الطريق الذى يسير فيه الآخر . هذا علمًا بأن عدد التلاميذ الذين ينتمون إلى الاتجاه البصرى بالنسبة لعدد التلاميذ الذين ينتمون إلى الاتجاه الذاتى كنسبة ٤ : ١ . بمعنى أن غالبية التلاميذ يمثلون الاتجاه البصرى الذى يعتمد على الحقائق المرئية عند التعبير الفنى . انظر شكل (٥١ ، ٥٢) .

واجب المدرس

وهذا يجعل موقف المدرس دقيقًا — دقيقًا بالنسبة لهذه الفروق عند التعبير ، ودقيقًا بالنسبة للمرحلة بوجه عام . أما عن موقف المدرس بالنسبة للمرحلة ، فعليه أن يعالج عدم إقبال التلاميذ على ممارسة الأعمال الفنية . وذلك بمعرفة السبب الحقيقى ، وهو ينحصر فى اعتقاد التلاميذ بأن الغرض من النشاط الفنى هو المحاكاة أو التقليد الحرفى . وبما أن عملية المحاكاة عملية شاقة يصعب على الكثيرين القيام بها ، لهذا يمتنع الأطفال عن تأدية الأعمال

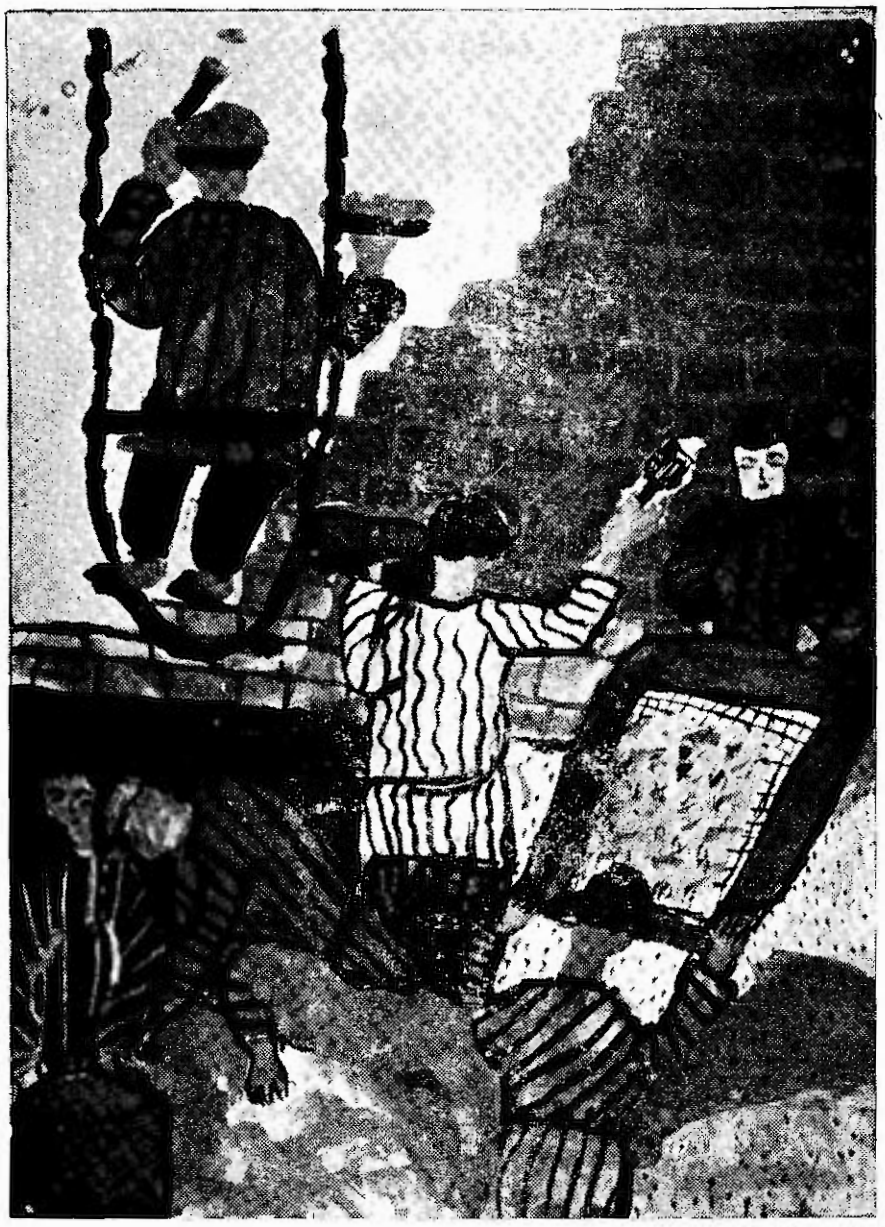

شكل (٥٠) « البناءون » السن ١٦ سنة . توضح لنا هذه الصورة الاتجاه البصرى عند التعبير . إذ نلاحظ أن الطفل قد عبر عن القريب والبعيد فظهرت الأشخاص وهى تحجب بعضها البعض . وقد راعى النسب كذلك ، فظهرت أحجام الأشخاص تتفق مع البناء والأدوات المستخدمة . كما نلاحظ إلى أى مدى قد استخدم الطفل الظل والنور حسب ما تمليه عليه الحقائق البصرية .

الفنية وبالتالى يقل إنتاجهم منها . فواجب المدرس إذن ينحصر فى تبصير التلاميذ بالفرق بين المحاكاة الحرفية والتعبير الحر .

وهذا الفرق يتلخص فى أن المحاكاة الحرفية أسلوب سلبى يجعل من صاحبه وسيلة لا أثر لشخصيته أو كيانه فى أعماله ، مثله كمثل الشخص المقلد . والتقليد فى جميع صوره لا يقوم إلا على بعض المهارات المعينة التى لا قيمة لها فى حد ذاتها ، بقدر ما هى وسيلة لغايات أكبر شأنًا منها . فالمهارة فى العزف مثلا ، لاتجدى وحدها فى إخراج عمل موسيقى كامل . والمهارة فى الرسم لا يمكن وحدها أن تخرج صورة فنية . وهكذا المهارة فى أى عمل من الأعمال ما هى إلا عامل واحد من العوامل الأخرى الكثيرة التى يجب أن تتوافر للشخص الذى يرجو لعمله قيمة ونفعًا يذكر . فالمحاكاة إذاً أسلوب ناقص ومبتور ، ونتائجه بالتالى أعمال ناقصة لا حياة فيها ولا طابع لها .

أما التعبير الحر فهو أسلوب إيجابى يجعل من صاحبه فى أثناء عمله وسيلة وغاية معًا ، فلا هو بالمتعصب لنفسه بحيث يتناسى موضوعية ما حوله ، ولا هو بالمتهاون فى شخصيته وفرديته بحيث يجعل مما حوله الهدف الأول له ، بل هو الاثنان معًا ، مثله فى ذلك مثل الشخص الذى يأخذ ويعطى فى وقت واحد — فهو يأخذ مما حوله ويعطى مما فى نفسه ، فتكون النتيجة أن يخرج لنا أعمالا ذات طابع خاص ملؤها الحياة . والشخص إذ يفعل هذا إنما يتمثل شخصية الفنان المبتكر ، والابتكار هو عصب الحياة وبريقها ، والحياة دون بريق حياة موحشة لا طعم لها . فالتعبير الحر إذاً هو الأسلوب الكامل ونتيجته بالتالى أعمال حية ذات طابع جديد .

ولكن هذا الفرق بين المحاكاة الحرفية والتعبير الحر ليس بالشىء اليسير الذى يستطيع المدرس أن يبصّر تلاميذه به فى سهولة ويسر ، إنما هو مشكلة عسيرة قد تحتاج إلى مجهود كبير ووقت طويل من جانب المدرس والتلاميذ معًا . فعلى المدرس أن يبدأ تدريجيًّا فى تبصير تلاميذه ولا يتعجل النتائج . وقد يلاقى فى أثناء ذلك صعوبات كثيرة ، ولكنه عن طريق الأحاديث المنظمة فى نقد الأعمال الفنية من أعمال التلاميذ وغيرهم من مشاهير الفنانين ، وقراءة بعض نماذج الأدب والشعر والقصص ، وسماع بعض نماذج الموسيقى — يستطيع أن يوضح لتلاميذه الفرق بين أسلوب المحاكاة وأسلوب التعبير الحر . وعندما يصل المدرس إلى حل هذه المشكلة يكون قد انتهى من أكبر عائق يقف فى طريق تلاميذ ما بعد سن الثانية عشرة بالنسبة للفن ، فيبدأ كل منهم عمله مقتنعًا به راضياً عنه غير متردد فيه .

فعلى المدرس أن يسلك هذا السبيل وهو معتقد أن كل تلميذ من تلاميذه يستطيع أن يعبر عن نفسه إذا ما أتيحت له الفرصة ، ونال حظه من التوجيه السليم . أما ما نسمعه أحيانًا من أن هذا التلميذ لا يستطيع الرسم وذلك لا يستطيع رسم الحصان أو الرجل مثلا — فكل هذه العبارات وما شابهها لا أساس لها من الصحة .

إلا إذا كان هناك اتجاه أو نموذج معين مفروض على التلميذ من الخارج . فى هذه الحالة بالذات نجد بعض التلاميذ بل كثيراً منهم لا يستطيع التعبير . أو من لا يستطيع رسم الحصان أو الرجل مثلا .

ولكن هل يمكن أن يكون هناك اتجاهات أو نماذج معينة تفرض على التلاميذ ؟ الحقيقة أنه يمكن أن يكون هناك اتجاهات أو نماذج معينة ولكنها يجب ألا تفرض على التلاميذ . فإن لكل شخص طريقته فى التعبير وأسلوبه الخاص به . لدرجة أننا لو لاحظنا أن طريقة معينة لشخص ما قد شاعت بين عدد من الأشخاص داخلنا الشك فى أن سبب انتشار هذه الطريقة المعينة راجع إما إلى نوع من الإملاء قد فرض على هؤلاء الأشخاص ، أو لأنهم هم أنفسهم يقلد بعضهم بعضاً . والسبب فى هذا هو معرفتنا بأن لكل منا فرديته الخاصة . وهذه الفردية الخاصة تملى على صاحبها طريقة أو أسلوباً معيناً . ولهذا كان من الخطأ أن نفرض على التلاميذ اتجاهات أو نماذج معينة .

ويفهم من هذا إذاً . أنه لا يوجد بين التلاميذ من لا يستطيع التعبير أو الرسم إذا ما كان هدف المدرس هو التعبير الحر بدلا من المحاكاة . وأن التلميذ الضعيف ليس هو الضعيف فى رسم شىء أو أشياء معينة . وإنما يعد ضعيفاً إذا كانت رسومه تتصف بالآلية . بمعنى أن القاموس الفنى له يكون محدوداً ومقصوراً على بعض رموز يكررها فى كل وقت وفى كل مناسبة . فإذا ما طلبنا من تلميذ ما التعبير عن مجموعة من الأفراد وهم يلعبون الكرة وجاءت رموزه فى مثل هذا الموضوع مشابهة لرموزه فى موضوع آخر مثل صيد الأسماك أو نزهة فى النيل كان هذا دليلا على ضعفه . لأن الضعف فى الناحية الفنية ليس هو الضعف فى الطريقة . وإنما هو النقص فى الرموز التى يستعملها التلميذ من ناحية قلتها وتشابهها .

ويحضرنى بهذه المناسبة مناقشة حدثت لى مع أحد مدرسى التربية الفنية بالمرحلة الثانوية . فى أثناء زيارتى لهذا المدرس رغب فى أن يعرض علينا إحدى محاولاته مع التلاميذ . وذكر أن المحاولة تتلخص فى أنه رأى نقصاً كبيراً فى تلاميذه من ناحية رسمهم للأشخاص . ففكر فى العلاج بأن يدرس التلاميذ كيفية رسم الأشخاص من نموذج حى . وفعلا أحضر المدرس أحد فراشى المدرسة وكلف تلاميذه بأن يرسموه مرة وهو واقف ، ومرة أخرى وهو جالس ومرة ثالثة وهو مرتكز على منضدة . ولما تم للمدرس ما أراد رغب فى أن يرى أثر المحاولة أو العلاج فى رسوم التلاميذ . فطلب منهم فى فرصة أخرى أن يعبروا عن بعض صيادى الأسماك وهم فى أثناء العمل ، وفى فرصة ثالثة طلب منهم أيضاً أن يعبروا عن ازدحام الجماهير حول محطات « الأتوبيس » .

هذا هو ملخص المحاولة كما ذكرها المدرس . ولكن عندما استعرضنا النتائج لم نجد أثراً للعلاج الذى اتبعه ، بل وجدنا ضرراً كبيراً قد ألم برسوم التلاميذ . وذلك أن المدرس عند ما كلف تلاميذه برسم الفراش فى أوضاع ثلاثة جاءت أعمالهم عبارة عن رسوم آلية تعتمد على المحاكاة الحرفية . وقد ظهر أثر هذه الآلية بشكل أكبر

عند ما استعرضنا أعمال التلاميذ فى الموضوع الثانى وهو صيد الأسماك ووجدنا أن الأوضاع الثلاثة التى قد رسمها التلاميذ للفراش من قبل متكررة كما هى فى هذا الموضوع . وما حدث لأعمال التلاميذ فى الموضوع الثانى هو نفس ما حدث لها فى الموضوع الثالث وهو ازدحام الجماهير حول محطات « الأتوبيس » . إذ تكررت فى هذا الموضوع أيضاً الأوضاع الثلاثة التى رسمها التلاميذ للفراش من قبل . وفى هذه الحالة لا يمكن أن يقال إن هؤلاء التلاميذ قد عولجوا فى تعبيرهم عن الأشخاص . إنما يقال إن المدرس دفعهم إلى حفظ بعض أوضاع معينة لرسم الأشخاص . وعندما يظهر أثر الحفظ فى أعمال التلاميذ يكون هو عين الضعف فى التعبير الفنى .

والخطأ فى هذا ليس من صنع هؤلاء التلاميذ . وإنما هو خطأ الطريقة التى قام بها المدرس حينما أخطأ أولا فى تشخيص النقص الذى لاحظه على رسوم تلاميذه . وأخطأ ثانياً فى طريقة العلاج . أما خطؤه فى تشخيص النقص فذلك لأنه كان يحكم على رسم الأشخاص فى أعمال التلاميذ من الناحية الطبيعية . أى من ناحية محاكاتها لما هو واقع مرئى . وأما خطؤه فى العلاج فقد جاء نتيجة لأنه لم يترك لتلاميذه فرصة التعبير الحر بل دفعهم إلى المحاكاة الحرفية وحفظ أنماط معينة لرسم الأشخاص . وما ظهر من آلية وتكرار فى رموز التلاميذ كان نتيجة طبيعية لهذا الخطأ . وبناء على ذلك يكون هذا المدرس قد فشل فى محاولته لأن كل تلميذ كما ذكرنا من قبل يستطيع التعبير ما دام رائد المدرس هو التعبير الحر لا المحاكاة الحرفية . وأن التلميذ الضعيف ليس هو الضعيف فى رسم شىء أو أشياء معينة . وإنما يعد ضعيفاً إذا كانت رموزه هزيلة ويكررها باستمرار فى كل وقت وفى كل مناسبة .

هذا هو الطريق الذى ينبغى أن يسلكه المدرس كى يعالج قلة إنتاج التلاميذ وعدم إقبالهم على ممارسة النشاط الفنى . أما عن الطريق الذى ينبغى أن يسير عليه عند توجيه كل من الاتجاهين البصرى والذاتى . فعليه أن يحترم كلاً منهما . ولا سيما أن الاتجاهين لا يختلفان من حيث القيمة الفنية .

لهذا كان من الواجب تبصير التلاميذ الذين ينتمون إلى الاتجاه البصرى بتذوق العلاقات الجمالية فى أعمالهم . فالحقائق المرئية ليست مجرد نسب معينة يجب مراعاتها . ولا ألواناً ذات طابع خاص يجب تسجيلها . إنما هى إلى جانب هذا عبارة عن علاقات جمالية فى الشكل واللون . وعندما يدرك التلميذ هذه الحقيقة . يكون قد اتخذ لنفسه أسلوباً يساعده على أن يكون إنساناً معبراً عن الحقائق المرئية لا مسجلا أو مقلداً لها .

وهذا عن التوجيه الذى يخص الاتجاه البصرى . أما عن الاتجاه الذاتى . فينبغى على المدرس أن يرشد التلميذ بحيث يصل بأعماله إلى مستويات أعلى من الناحية الفنية دون أن يتعرض إلى طريقته أو أسلوبه فى التعبير . لأن هذا التلميذ وإن كان لا يخضع للحقائق البصرية . فهو دائماً فى حاجة إلى من يرشده إلى تخير الأشكال وطريقة تنظيمها جمالياً . وإلى تخير الألوان وطريقة تنسيقها فنياً . وإلى أكثر من هذا وذاك من توجيهات

شكل (٥١) « يوم المرور » السن ١٦ سنة . نلاحظ فى هذه الصورة الاتجاه الذاتى فى التعبير . فالطفل لم يراع النسب البصرية بقدر ما راعى النسب الذاتية . فظهر الجندى بحجم كبير بينما ظهرت السيارات بأحجام صغيرة . كذلك لم يراع القريب والبعيد بين الأشياء ، بل راعى وجود خط الأرض ، والطفل يلجأ إلى كل هذا لأنه لا يعتمد على الحقائق البصرية بقدر ما يعتمد على إحساساته ورغباته الذاتية عند التعبير .

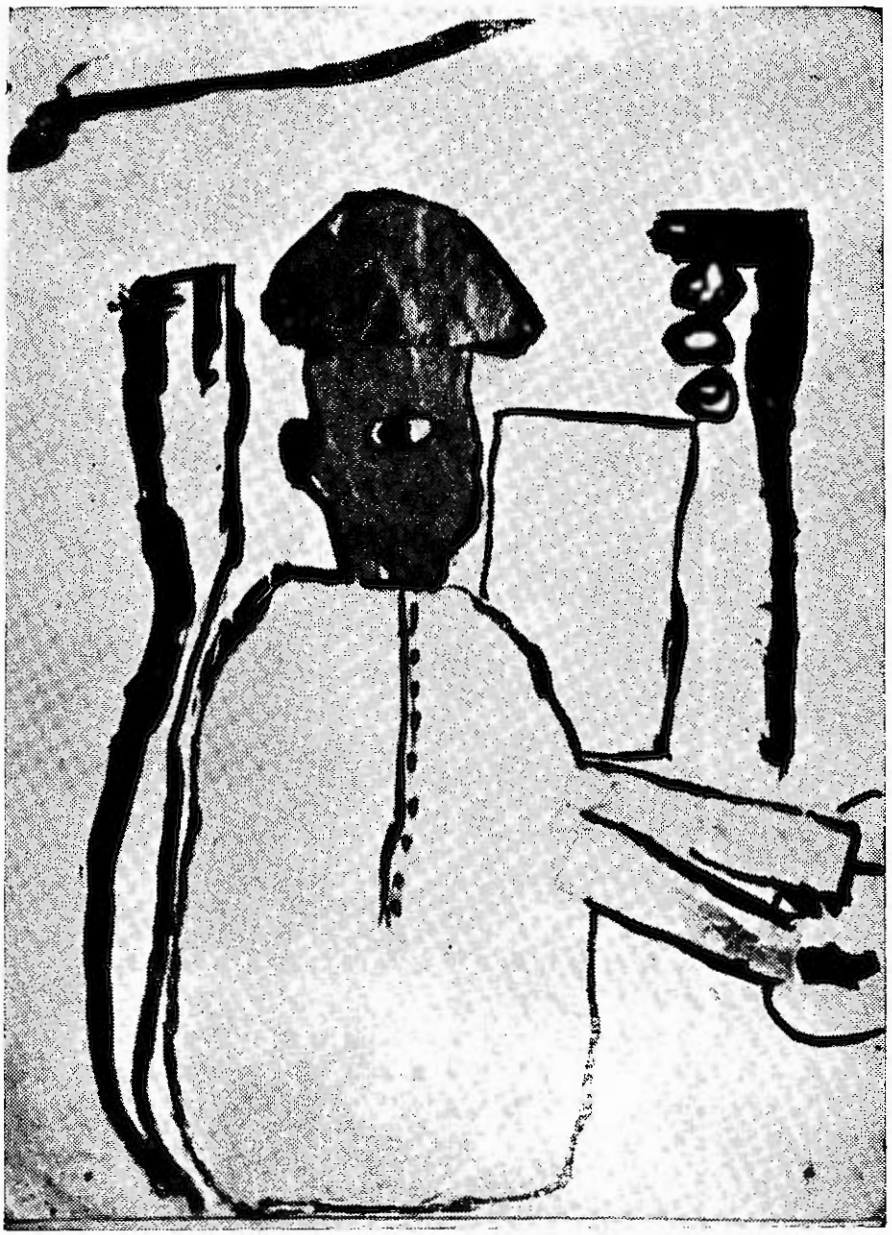

شكل (٥٢) « سائق الترام » السن ١٦ سنة . هذا مثل آخر للاتجاه الذاتى فى التعبير . إذ نلاحظ إلى أى مدى قد اعتمد الطفل على إحساساته الذاتية . فوضح السائق دون مراعاة للنسب ، ووضح كل شيء حوله كأنه عديم القيمة بالنسبة للسائق نفسه . هذه أهم اتجاهات النوع الذاتى عند التعبير .

فنية . لأن فى هذا النوع من الإرشاد عونًا للتلميذ على تذوق أعماله والنهوض بها إلى مستويات أكبر من الناحية الفنية .

وإذا كان هذا أبرز مايخص كلا من الاتجاه البصرى والاتجاه الذاتى من توجيه . فالاتجاهان معًا فى حاجة إلى إرشاد يتصل بكيفية التعبير . فمن الملاحظ أن تلاميذ هذه المرحلة يود فى قرارة نفسه أن تخرج أعماله فى صورة منتهية وتؤدى فى الوقت نفسه أغراضاً نفعية . لهذا كان من الواجب على المدرس أن يزود التلاميذ بالمهارات والتدريبات المختلفة التى تتصل مثلا . بطريقة مزج الألوان وتركيبها . أو بطريقة إظهار الأجسام وتظليلها أو بطريقة نشر الخشب والحفر عليه . أو غير ذلك من مهارات تتصل بكيفية الأداء . ولكن ينبغى أن لايعطى هذه المهارات إلا إذا تولدت لدى التلميذ الرغبة إليها . وكانت فى الوقت نفسه بمثابة وسيلة لحل مشكلات يود التغلب عليها . هذا فضلا عن تزويد التلاميذ بالموضوعات والمشكلات التى لها صبغة وظيفية أو نفعية[1] . حتى يشعر كل منهم أنه يؤدى عملا نافعًا له قيمة بالنسبة له وبالنسبة لغيره من الناس .

وقد يكون من المناسب فى هذه المرحلة أيضاً . أن يلجأ المدرس إلى الأعمال الجماعية حيث يشترك عدد من التلاميذ فى عمل واحد . فيحقق رغبتهم نحو التعاون كمظهر من مظاهر حياتهم فى هذه السن . كما يستطيع المدرس أن يثير التلاميذ نحو التعبير عن طريق الموضوعات الرمزية والتى تتمثل منها حياة البطولة . لأن فيها ما يتفق وتفكير التلميذ فى هذه المرحلة .

ملخص عام للمرحلة

المرحلة	اتجاهاتها	التعبير عن الأشخاص	التعبير عن القريب والبعيد	استخدام اللون	موقف المربى
مرحلة التعبير الواقعى وتبدأ من ١٢ إلى ١٤ سنة تقريباً .	(١) نمو عقلى ولكن بدون وعى كامل . (٢) اتجاه منطق ولكن شبه لاشعورى	(١) ولع بالتفاصيل والمظاهر المميزة للأشخاص . (٢) وعى بالنسب وعلاقة الأجزاء بالنسبة لبعضها البعض .	(١) وعى كامل نحو إدراك العلاقة البصرية بين القريب والبعيد من ناحية الحجم . (٢) استخدام خط الأرض للتعبير عن الإحساس بالقريب والبعيد بالنسبة للاتجاه الذاتى .	(١) استخدام اللون استخداماً يعتمد على الحقائق البصرية بالنسبة للاتجاه البصرى . (٢) استخدام اللون استخداما ذاتياً وانفعالياً بالنسبة للاتجاه الذاتى	(١) تبصير التلاميذ بطبيعة العمل الفنى من حيث كونه تعبيراً وليس محاكاة . (٢) إرشاد الاتجاهين البصرى والذاتى نحو القيم الجمالية فى أعمالهم والعمل على تذوقها .

(١) من اتجاهات التلميذ فى هذه المرحلة شعوره بأن يقوم بأعمال كأعمال الكبار لها صفة الجدية والنفعية . فمثلا إذا ما رغب فى عمل صندوق من الخشب كان لا بد وأن يكون هذا الصندوق استخدام معين . أو إذا ما كان له أن يشكل قطعة من الصلصال على هيئة تمثال رغب فى أن يقوم بالعملية من بدايتها إلى نهايتها . بمعنى أنه يبدأ أولا بتشكيل الصلصال ، ثم عمل قالب للتمثال ، ثم فى النهاية صب التمثال نفسه بالجص .

	(٣) ولع بالموضوعات التى تغلب عليها الناحية الرمزية وتتمثل فيها حياة البطولة .	(٣) اهتمام الاتجاه البصرى بالتغيرات التى تحدث عند تحرك الأشخاص .		(٣) تزويد التلاميذ بالمهارات والمعلومات التى تساعدهم على إخراج أعمالهم بصورة منتهية وذات صبغة نفعية
	(٤) ظهور بعض الاتجاهات الخاصة فى التعبير : الاتجاه البصرى الذى يعتمد على الحقائق المرئية ، الاتجاه الذاتى الذى يعتمد على الحقائق المعرفية أو الذهنية .	(٤) اهتمام الاتجاه الذاتى بالإحساسات الخاصة والانفعالات الذاتية للتعبير عن الأشخاص .		(٤) الاهتمام بالإنتاج .
				(٥) إثارة التلاميذ نحو التعبير عن الموضوعات الغنية بالرمزية ومظاهر البطولة فى حياة الشعوب .

تدريبات لدراسة فن الطفل فى هذه المرحلة

١ — اجمع رسوماً من تلاميذ الصف السادس الابتدائى أو الصف الأول الإعدادى . ثم بين كم طفلا يعتمد على الحقيقة البصرية فيوضح الاختلاف بين العناصر القريبة والعناصر البعيدة من ناحية الحجم .

٢ — احص نسبة التلاميذ الذين ما زالوا يستخدمون خط الأرض فى رسمهم .

٣ — احص الرسوم التى تعبر عن المنازل والأشخاص والأشجار ويراعى فيها نسب هذه العناصر بالنسبة لبعضها البعض وفقاً للحقيقة البصرية .

٤ — فرق بين رسوم تلاميذ الصف الأول من المرحلة الإعدادية من حيث الاتجاه البصري والاتجاه الذاتى فى التعبير . ثم بين عدد كل من الاتجاهين بالنسبة للآخر .

٥ — حلل رسما واحداً لتلميذ فى هذه المرحلة من حيث :

	نعم	لا
* النسب حسب الانفعالات الخاصة		
* النسب وفقًا للحقيقة البصرية		
* استخدام خط الأرض		
* إظهار البعيد بأحجام صغيرة		
* استخدام اللون وفقًا للحقيقة البصرية		
* استخدام اللون حسب الانفعالات الذاتية		
* تأكيد المظاهر الخارجية		
* تأكيد المظاهر الذاتية		

ما هى الحقائق التى يمكن أن تحصل عليها بعد هذا التحليل بالنسبة لاتجاه التلميذ عند التعبير ؟

مرحلة المراهقة

تبدأ من ١٣ إلى ١٧ أو ١٨ سنة تقريباً

لاتختلف اتجاهات التلميذ فى هذه المرحلة عن اتجاهاته فى المرحلة السابقة . فإذا اعتبرنا أن المرحلة السابقة كانت بداية لظهور بعض الاتجاهات عند التعبير الفنى . فهذه المرحلة استمرار للاتجاهات نفسها وتأكيد لها ، بمعنى أننا نستطيع فى هذه الفترة أن نلمس بوضوح الفرق بين التلاميذ الذين ينتمون إلى الاتجاه البصري وبين التلاميذ الذين ينتمون إلى الاتجاه الذاتى . هذا فضلا عما نلاحظه من ظاهرة جديدة وهى رسم أنصاف أو أجزاء من العناصر التى يود التلميذ التعبير عنها . فمثلا نشاهد التلميذ فى هذه الفترة وقد عبر عن جزء من شجرة أو منزل أو إنسان . والسر فى ذلك يرجع إلى أن معظم التلاميذ فى هذه المرحلة يعتمدون على الحقائق البصرية .

واجب المدرس

وكون هذه المرحلة لاتختلف عن المرحلة السابقة . فواجب المدرس هو نفس الواجب ؛ إذ عليه أن يستمر فى تبصير التلاميذ بالفرق بين أسلوب التعبير وأسلوب المحاكاة . ويعرفهم فى الوقت نفسه . بطبيعة الأعمال الفنية من حيث كونها تعبيراً عن الحقائق وليس تسجيلا لها . لعل إقبال التلاميذ على ممارسة الأعمال الفنية يعود إليهم كما كانوا فى سنواتهم الأولى . كذلك يجب على المدرس أن يزود التلاميذ بالمهارات والمعلومات التى تعينهم على تأدية أعمالهم بصورة جدية فيشعرون بأنهم يمارسون أعمالا ذات طابع وظيفى .

ملخص عام للمرحلة

المرحلة	اتجاهاتها	التعبير عن الأشخاص	التعبير عن القريب والبعيد	استخدام اللون	موقف المربى
مرحلة المراهقة من ١٣ لى ١٦ أو ١٨ سنة تقريباً .	(١) وعى منطقى بالنسبة للعالم الخارجى .	(١) اهتمام الاتجاه البصرى بالنسب واستخدام الظل والنور وفقاً للحقيقة البصرية .	(١) اهتمام الاتجاه البصرى بالمنظور والتعبير عن القريب والبعيد .	(١) استخدام الاتجاه البصرى للون استخداما موضوعيا .	(١) احترام كل من الاتجاهين : البصرى والذاتى — وتوجيه كل منهما نحو تذوق القيم الجمالية فى أعمالهم .

	(٢) فروق ملموسة بين الاتجاه البصرى والاتجاه الذاتى . (٣) رسم أنصاف أو أجزاء من العناصر خاصة بالنسبة للاتجاه البصرى .	(٢) اهتمام الاتجاه الذاتى باستعمال الرموز وفقاً للانفعالات الخاصة وذلك للتعبير عن الأشخاص .	(٢) اهتمام الاتجاه الذاتى باستخدام خط الأرض للتعبير عن الإحساس بالبعيد والقريب .	(٢) استخدام الاتجاه الذاتى للون استخداماً ذاتيا وحسب الانفعالات الخاصة .	(٢) الاهتمام بنتيجة الأعمال . (٣) تزويد التلاميذ بالمهارات والمعلومات حسب حاجتهم إليها .

تدريبات لدراسة فن الطفل فى هذه المرحلة

١ — قارن بين رسوم تلاميذ الصف الخامس الابتدائى وبين رسوم تلاميذ الصف الثانى الإعدادى موضحاً مدى شعور تلميذ الصف الثانى الإعدادى بفرديته وأثر ذلك فى تعبيره الفنى .

٢ — اجمع عدة رسوم من تلاميذ المرحلة الثانوية ثم بوبها إلى اتجاهى التعبير فى هذه المرحلة . الاتجاه البصرى والاتجاه الذاتى .

٣ — ادرس خصائص كل من الاتجاه البصرى . ثم الاتجاه الذاتى بالنسبة لما يلى :

(ا) اختيار موضوعات التعبير .

(ب) إدراك النسب وعلاقة العناصر بالنسبة لبعضها البعض .

(حـ) الموضوع وكيفية التعبير عنه .

(د) اتجاه التلميذ عند استخدام اللون .

٤ — اجمع عدة رسوم من تلاميذ المرحلة الثانوية موضحاً إلى أى مدى يلجأ التلميذ إلى التعبير عن أجزاء من الأشياء أو بعض منها .

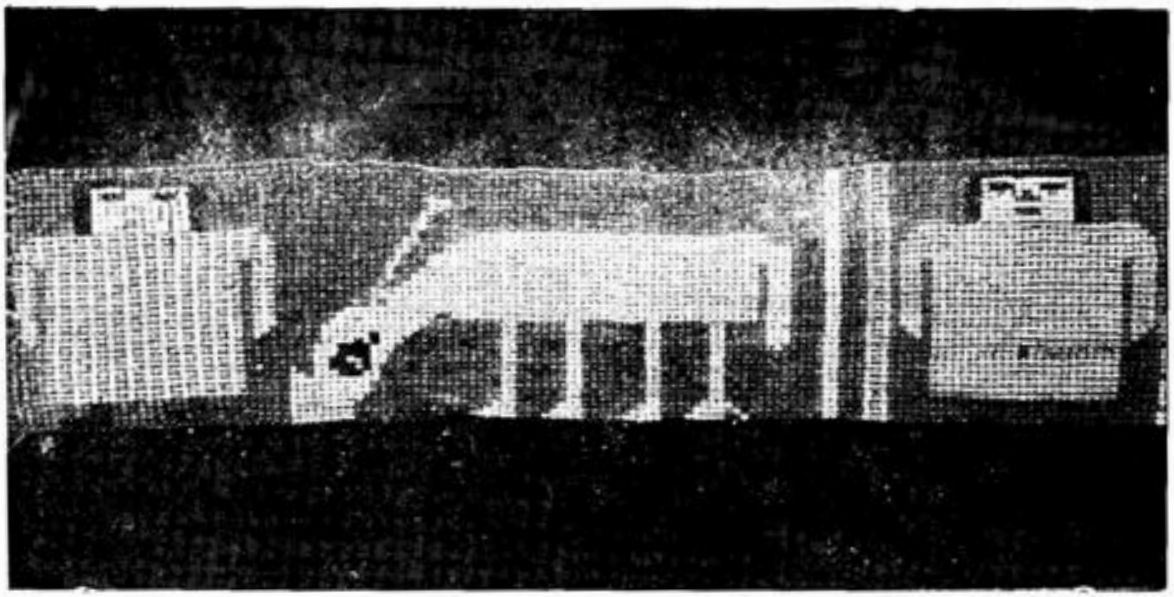

شكل (٥٣) « حزام » السن ١٣ سنة . أعمال الخرز من الخبرات الفنية التى تتناسب مع ميول البنت فى الصفوف الأخيرة من المرحلة الابتدائية . وهذه الصورة تمثل « حزاماً » من الخرز الملون تستخدمه التلميذة فى حياتها الخاصة .

شكل (٥٤) الدمى « المتحركة » السن ١٠ سنوات . هذه بعض نماذج من الدمى المتحركة ، استخدمت فى إخراجها خامات متنوعة كالقماش والخشب والسلك والورق والخرز والخيوط . وهذا اللون من النشاط الفنى محبب لصغار التلاميذ خاصة فى المرحلة الابتدائية .

شكل (٥٥) « طائر » — السن ١٠ سنوات . هذه الصورة توضح طائراً قد استخدم فى التعبير عنه عدة خامات من البيئة والورق والريش .

شكل (٥٦) بائعة الفاكهة – السن ١٢ سنة . تمثل هذه الصورة بائعة تحمل سلة على رأسها ، وقد استخدمت التلميذة فى إخراجها كثيراً من الخامات المختلفة كالسلك والقش والورق .

شكل (٥٧) دمية من خيوط البلاستيك — السن ١٢ سنة . تمثل هذه الصورة دمية قد استخدم فى عملها خيوط مختلفة الأشكال والألوان من البلاستك .